

الباب الثالث: - سياسة الإخوان في ميزان السياسة الشرعية

الفصل الأول: - صيانة العقيدة والخروج عليها بين السياسة

الشرعية وسياسة الإخوان

المبحث الأول: - منزلة العقيدة في السياسة الشرعية وسياسة الإخوان

المطلب الأول: - صيانة السياسة الشرعية للعقيدة

حفظ العقيدة في السياسة الشرعية يكون بحمايتها والدفاع عنها وتنفيذ أحكامها، لتحقيق الغاية الأساسية من خلق الإنسان، وهي عبادة الله وحده وإخلاصها له، قال الله ﷻ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا) (١). وقال الله ﷻ (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (٢).

فإذا تحققت العبادة الخالصة لله ﷻ فقد أقيم الدين، الذي اصطفاه الله ﷻ، وهو الإسلام، وما وراء ذلك هباء منثوراً، قال الله ﷻ (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٣) ومن حاد عن ذلك قيد أنملة خسر خساراً مبيهاً، قال الله ﷻ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٤).

ولكي يبقى الدين محفوظاً مما يفسده فلا بد من أمور نص عليها الإسلام، أهمها:

١ - سلامة الإيمان: -

حيث أصول العقيدة الصحيحة ستة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، قال الله ﷻ (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٥).

والإيمان بالله أعظم هذه الأركان وأرفعها قدراً لذا أهتم القرآن والسنة بجانب هذا الركن

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٦-٥٧)

(٢) سورة البينة، الآية (٥)

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٩)

(٤) السابق، الآية (٨٥)

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

أيما اهتمام وأفردوا له المساحات الكبار، وذلك لأجل تصفية قلب العبد مما عدا الانشغال بالله، وليسهل عليه بناء علي ذلك إفراد الله في إلهيته، أي لا يكون مستحق للعبادة نهائيا إلا الله، وفي ربوبيته، أي يعتقد كون الله هو الخالق الأوحد وما عداه مخلوقين ضعفاء لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا مهما عظم شأنهم وقويت شوكتهم، وأن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في أفعاله، ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته.

قال الله U (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ النَّعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) ^(١).

عن عمر بن الخطاب t قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا"، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" ^(٢).

واحترز الشارع لسلامة إيمان العبد بالتنصيص علي أنواع الشرك كافه: الظاهر منها والخفي، كي يكون العبد منها علي بينه، وتوعد مرتكبه بعقاب شديد، قال الله U (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) ^(٣) وقال الله U (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) ^(٤)، وقال الله U (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ^(٥).

٢ - النهي عن الابتداع في الدين :-

نهي الإسلام كذلك عن الابتداع في الدين محافظة عليه، لان الله أكمل هذا الدين وأتمه قبل موت النبي ﷺ، فلا يجوز لأحد مهما كان أن يزيد فيه ما ليس منه أو ينقص منه ما هو فيه، قال

(١) سورة الشورى، الآية (١١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ح (٨).

(٣) سورة النساء، الآية (٤٨).

(٤) سورة المائدة الآية (٧٢).

(٥) سورة الحج، الآية (٣١).

U (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١).

وقال النبي ٣ منبها إلى خطورة الابتداع في الدين: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٢)، ويكون ذلك بدعوة الناس إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، وبدفع شبهات الزائغين، ومحاربة البدع ومنعها، ومجادلة أهلها بالحجة والبرهان، وجمع عامة الخلق علي مذاهب السلف الصالح، وسبيل ذلك أن يثبت دعاه الحق من العلماء وينفق عليهم، ويتكفلهم ليعلموا الناس العقيدة السليمة، ويسخر من وسائل الإعلام الحديثة، ويجاهد المعاندين ويزيل الحواجز التي تحول دون نشر الدين، وهذا جميعه لحماية أصل الدين (٣).

٣- العمل بأحكام الشريعة الإسلامية:-

U أمر الله ورسوله ٣ بالعمل بأحكام الشريعة الإسلامية في جميع المجالات، بل إن الإسلام حذر من التهاون في تنفيذ أحكام الشريعة في جميع المجالات، وتوعد المخالف بالعقوبة الشديدة، قال الله U:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (٤).

فلا طمأنينة ولا انشراح للعبد طالما ظل ينتقل في حياته بعيدا عن هدي الله ورسوله المتمثل في الشرع الحنيف، والعبد ما إن يخلص إلى اليقين والهدي المتمثلين في أهبي صوره في شرع ربنا فهو في غيه يتردى وحيرة وشك، فلا يزال في ريبه يتردد، وهذه هي ضنك المعيشة (٥)، وليس هذا فحسب فإن عقابا آخر ينتظره وهو أن يحشر إلى النار وهو أعمى البصر والبصيرة.

قال تعالى:

(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) (٦).

(١) سورة المائدة، الآية (٣)

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١/٥) كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا عي صلح جور (٢٦٩٧)، ومسلم (١٣٤٣/٣) كتاب الاقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة (١٧١٨/١٧) من حديث عائشة .

(٣) ينظر: الغياثي، للإمام الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، بدون ناشر، ط ٢ ١٤٠١ هـ - ص (١٨٤).

(٤) سورة طه، الآيات (١٢٤: ١٢٦).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٦٨/٣).

(٦) سورة الإسراء، الآية (٩٧).

٤ - قتال المرتد وقتله:-

أوجب الإسلام قتل المرتد عن دينه ففي الحديث عن رسول الله ﷺ "لا يحل دم امرئ إلا يأخذى ثلاث: النفس بالنفس، والشيء الزاني، والمرتد عن دينه المفارق للجماعة"^(١). وقول النبي ﷺ "من بدل دينه فاقتلوه"^(٢)، فالمرتد يستتاب ثلاثا فإن تاب وإلا قتل^(٣). وتنفيذ حد الردة يحفظ الإيمان من الإنحلال، ويبقى الدين قويا ومسيطرا علي النفوس، وأكبر دليل علي ذلك ما فعله أبو بكر الصديق ؓ في أول خلافته من قتال المرتدين وحتى مانعي الزكاة، فلولا إقدامه علي حرب هؤلاء لانهدمت أركان الدين، وضاعت بيضته وانهارت دولته.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر هذا الدين ومن عوامل الخيرية في الأمة الإسلامية، قال الله ﷻ (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٤) وقال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"^(٥).

٦ - الجهاد في سبيل الله :-

شرع الله الجهاد للمؤمنين بأنفسهم وأموالهم، لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وحفظه وتأمينه من أعداء الله، وحماية لبيضة الإسلام، وحرمان المسلمين، قال الله ﷻ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)^(٦)، وقال الله ﷻ (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(٧).

(١) أخرجه البخاري (٢٠١/١٢): كتاب الديات: باب قوله تعالى (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) [المائدة: ٤٥]، حديث (٦٨٧٨)، ومسلم (١٣٠٢/٣): كتاب القسامة: باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦/٢٥)، والترمذي (١٤٠٢)، وأبو داود (٤٣٥٢) والنسائي (٩٢/٧) وابن ماجه (٢٥٣٤)، والدارمي (٢١٨/٢)، والدارقطني (٨٢/٣)، والبيهقي (١٩/٨)، وأحمد (٣٨٢/١)، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٦٥)، عن عبد الله ابن مسعود مرفوعا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩/٦) كتاب الجهاد: باب لا يعذب بعذاب الله حديث (٣٠١٧) وأبو داود (٥٢٠/٤) كتاب الحدود: باب الحكم فيمن ارتد حديث (٤٣٥١) والترمذي (٥٩/٤) كتاب الحدود: باب في المرتد حديث (١٤٥٨) والنسائي (١٠٤/٧) كتاب تحريم الدم باب الحكم في المرتد، وابن ماجه (٨٤٨/٢) كتاب الحدود: باب المرتد عن دينه حديث (٢٥٣٥) وأحمد (٢١٧/١، ٢٨٢) وعبد الرزاق (١٦٨/١٠) رقم (١٨٧٠٦) وابن أبي شيبة (١٣٩/١٠) رقم (٩٠٤١) من حديث ابن عباس وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) ينظر: المسبوط للسرخسي (٩٨/١٠، ٩٩)، ومغني المحتاج (١٣٩/٤)، والمغني (١٢٤/٨)

(٤) سورة آل عمران، الآية (١١٠)

(٥) أخرجه الترمذي (٤٠٦/٤) كتاب الفتن، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف (٢١٦٩).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٩٣)

(٧) سورة الأنفال، الآية (٣٩)

وقال الله U (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)))^(١)؛ إذن فالدين قد تتهدده أخطار، ولكن الله U شرع له ما يحفظه ممن يهدده ببيان أسسه وعناصره ومكوناته الصحيحة بصورة بينة واضحة فيبذل المؤمن في سبيل الدين نفسه وماله، والمقابل الذي يأخذه المؤمن هو التمكين لهذا الدين في الأرض فتكون رفعة المؤمن وعزة بالتبعية.

قال الله U (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)))^(٢).

ويكون حفظ الأمن الخارجي بجهد من عائد الإسلام، وتوجيه العساكر إلى ديار الكفر، حتى لا يبقى في الأرض إلا مسلم أو مسلم، وتخصيص ما يلزم لذلك من الأنفس والأموال والعتاد إمتثالا لقول الله U (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)))^(٣).

ولقد بين شيخ الإسلام بن تيمية: أن الإنفاق علي الجند مقدم في الإسلام علي غيرهم من المستحقين، لما لهم من أثر في حماية البيضة وحفظ الدين والرد عن حرم المسلمين، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام بن تيمية: (يبتدئ في القسمة بالأهم من مصالح المسلمين، كعطاء من يحصل للمسلمين به منفعة عامة، فمنهم المقاتلة الذين هم أهل النصر والجهد، وهم أحق الناس بالفيء، فانه لا يحصل إلا بهم)^(٤).

وأما من حيث الجهة التي تتولي الإنفاق عليهم فهي موارد بيت المال المخصصة للمصالح العامة ومنها الجزية والخراج والتوظيف، وقد توصل رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى ترك أراضي السواد دون تقسيم لتكون فينا لعموم المسلمين تنفق في مصالحهم؛ وعلل ذلك بقوله: (أرأيتم هذه الثغور، لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر، لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدراار العطاء عليهم)^(٥).

(١) سورة التوبة، الآية (١٣).

(٢) سورة النور، الآية (٥٥).

(٣) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

(٤) ينظر: السياسة الشرعية، المطبعة السلفية ص (٢٦).

(٥) ينظر الخراج: موسوعة الخراج، أبو يوسف، ص (٢٥).

فمن أين يعطي هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج؟ فقالوا: الرأي رأيك.
وأما حفظ الأمن الداخلي فعلي الدولة الإسلامية حماية البلاد المسلمة من المتلصصين،
والمترصدين، وقطاع الطرق، وأهل الفساد، وذلك حتى يستطيع الناس الإنصراف لمعايشهم
وينتشروا في الأسفار أمنين علي أنفسهم وأموالهم، وعلي الدولة إقامة العقوبات الزاجرة والحدود
الرادعة علي كل من يعيث بالأمن الداخلي ويرتكب الفواحش والموبقات لحفظ أموال الناس
وأعراضهم، ورصد ما يلزم لذلك من نفقات لتدريب الجند ورجال الأمن، وصناعة العتاد المتطور
والذخائر، ويكون الإنفاق علي ذلك من بيت المال، بالإضافة إلي رعاية السجون وكفالة
المسجونين^(١).

وقد كلف الشرع الحنيف ولادة الأمور بحراسة الشريعة وحمايتها بإقامة الزواجر التي تردع
الخارجين علي حدود الله وأحكامه وقواعد دينه، ومبادئه .
وبهذه الطرق الإيجابية المتمثلة في الأمر بالمعروف، والطرق السلبية المتمثلة في النهي عن
المنكر يحافظ علي دين الله، وتحمي مصالحه الدنيوية والأخروية من الإفساد^(٢).

٧ - كفالة المحتاجين وأهل الكرب:-

عد العلماء الاهتمام بذوي الحاجات من أهم الوجوه التي تصرف فيها الأموال بعد كفاية
الجند،

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المستحقين للأموال: ذوو الحاجات، فقد قال
الفقهاء: أنهم يقدمون حتى في غير الصدقات علي غيرهم، كما كان النبي ﷺ يقدم ذوي الحاجات
كما قدمهم في مال بني النضير، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب ؓ: ليس أحد أحق بهذا المال
من أحد إنما هو الرجل وسابقتها والرجل وعناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وحاجته)^(٣).

وقد تعرض الفقهاء لحق الفقراء والمحتاجين من بيت المال حين لا يجدون من ينفق عليهم،
قال الكاساني (رحمه الله): عندما تحدث عن مصارف بيت المال : (وأما النوع الرابع فيصف إلي
دواء الفقراء والمرضي وعلاجهم، والي أكفان الموتى الذين لا مال لهم وإلي نفقة اللقيط وعقل
جنائيتهم، وإلي نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له من تجب عليه نفقته، ونحو ذلك، وعلي
الإمام صرف هذه الحقوق علي مستحقيها)^(٤).

قال أبو عبيد (رحمه الله): (أفلا ترى عمر إنما اشترط في هذه ما يكون فيه الكفاف الذي

(١) ينظر: غياث الأمم، الجويني، ص(٢١٤)، وما بعدها.

(٢) ينظر: المقاصد العامة للشريعة، يوسف العالم، ص(٢٦٩)، ومقاصد الشريعة، للحميدان، ص(١٢٥) وما بعدها.

(٣) ينظر: السياسة الشرعية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٤٥).

(٤) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، (٩٥٩/٢).

لا غناء به عنه، فأرخص فيه، ولم يجعل له ما وراء ذلك^(١).

وعلي الدولة إيجاد الملاجئ لإيواء العجزة وحضانة الأيتام وتأمين الرعاية حتى لا يقع الإمام في الوعيد الذي تضمنه حديث رسول الله ﷺ " ما من عبد استرعاه الله رعيه فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة"^(٢).

فكل هذه العوامل مجتمعة تؤدي لحفظ وصيانة العقيدة، وتعمل علي تعميقها لدي المؤمنين بها، والسائرين علي نهجها.

المطلب الثاني المزالق العقدية في سياسة الإخوان:-

تكمن المزالق العقدية في إنحراف جماعة الإخوان المسلمين في إتخاذهم منهجا يغير منهج سلف الأمة فنجدهم يعلنون الشعارات البراقة والتصريحات التي تؤكد إلزامهم بالمنهج الإسلامي في حين نجد إنحرافهم عقديا يطغي علي سلوك الجماعة والانحراف عندهم يأخذ خطوطا شتى ولا نحاول إحصاء هذه الخطوط فالانحراف عندهم متعدد ألوانه وتعدد أشكاله وتتشعب مظاهره وربما نقف علي سبب الانحراف فيما قرره العلامة بن رجب الحنبلي (رحمه الله) حين قال: (واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة إنما هو من ترك الاشتغال بامتنال أوامر الله ورسوله واجتناب نواهي الله ورسوله فلو أن من أراد أن يعمل عملا سأل عما شرع الله في ذلك العمل فامتثله وعما نهي عنه فيه فاجتنبه وقعت الحوادث مقيده بالكتاب والسنة وإنما يعمل العامل بمقتضي رأيه وهواه فتقع الحوادث عامتها مخالفه لما شرعه الله وربما عثر ردها إلي الأحكام المذكورة في الكتاب والسنة لبعدها عنها، وفي الجملة فمن امتثل ما أمر به النبي ﷺ في هذا الحديث وانتهى عما نهي عنه وكان مشغولا بذلك عن غيره حصل له النجاة في الدنيا والآخرة ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه النبي ﷺ)^(٣).

١ - تأويل الأسماء والصفات :-

من مظاهر انحرافهم عن المنهج العقدي الصحيح تأويلهم الأسماء والصفات.

يقول المرشد الثالث للإخوان المسلمين بعد حسن البنا وحسن الهضيبي عمر التلمساني عندما تعرض لقول الله ﷻ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧))^(٤)

(هذه اليمين التي أشارت إليها الآية الكريمة هي التمكن من طي السماوات والأرض أي

(١) ينظر: الأموال (٦٦٦)، وصناعة الكتابة، ص (٢٥٣)

(٢) أخرجه البخاري (٨٠/٩)، و(٧١٥٠)، و(٧١٥١)، ومسلم (٨٧/١)، و(٢٨٠)، و(٩/٦)، و(٤٧٥٧)، و(٨٨/١)، و(٢٨١)، و(٩/٦)، و(٤٧٥٨).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم، ص (١١٥).

(٤) سورة الزمر، الآية (٦٧).

القدرة التي تفعل ما تشاء كيفما تشاء عندما تشاء^(١).

٢ - التهوين من شأن دراسة العقائد :-

هذا رجل من كبار رجال الإخوان المسلمين في بلدة الأردن وهو عبد الله عزام يهون من قضية دراسة العقيدة بطريقة واضحة لا لبس فيها ولا عوج فيقول (وليست العقيدة هي أن تعلم أن الله في السماء فحسب هذه نتعلمها في جلسة واحدة)^(٢).

الحقيقة (أنه لم يقل أحد من علماء السلف أن العقيدة هي هذه فقط وكتبهم ومقالاتهم في العقيدة شاهدة بذلك ولكنهم مع هذا لا يستخفون بعقيدة العلو ولا يهونون من شأنها بهذه الطريقة ولا يقربون بين من يعتقد أن الله فوق رأسه وتحت رجله وبين من يعتقد أن الله U فوق عرشه بل شأنها عندهم عظيم حيث كان الأولون في عقائدهم يأتون بها مقرونة مع الشهادتين، بل كان النبي ﷺ يمتحن بها إيمان الناس مما يدل على أن من لا يقر بها ليس بمؤمن وهذه حقيقة لا محيص عنها إذ يترتب على خلافها القول بحلول الله في خلقه والعياذ بالله، وأما قوله (نحفظها في جلسة واحدة) فهذه نظرة الإخوان إلى عقيدة السلف حيث يكتفون بمعرفتها في قلوبهم أو سطرها في كتبهم دون الدعوى إليها أو الولاء فيها والبراء عليها ويظنون أن مجرد حفظها كاف والحقيقة أن المسألة ليست مسألة حفظ كأنك تحفظ بيتا من الشعر ولكن المسألة مسألة استيقان القلب بها واعتقاد أن خلافها باطل ثم الدعوة إليها والولاء فيها والمحبة فيها.

وليس السكوت عليها وإهمالها واعتبار الحديث فيها من الأحاديث السمجة التي تفرق الأمة، بل يجب الإيمان بها والدعوة إليها ومن حاد عن ذلك فهو المفرق للأمة. يتضح من خلال ما سبق أن الإخوان خليط من العقائد التي لا تنتمي إلى أهل السنة والجماعة.

فالعقيدة عندهم لا تستحق كل هذه النزاعات أو الخلافات، وليس لديهم ما يسمى عندهم بالحبية فيها أو المعادة عليها، واقصد بالعقيدة العقيدة التي فهمها السلف الصالح^(٣). قال حسن البنا عن مذهب السلف: (قد علمت أن مذهب السلف من الآيات والأحاديث التي تتعلق بصفات الله U أن يمرروها على ما جاءت عليه، ويسكتوا عن تفسيرها أو تأويلها)^(٤). وهذا القول بعيد عن الصحة فإن السلف رضوان الله عليهم تكلموا في آيات الصفات، وبينوا معناها وفسروها ودليل ذلك، قول مالك (رحمه الله): عندما سئل عن الاستواء

(١) ينظر: بعض ما علمني الإخوان المسلمون، ص(١٧).

(٢) ينظر: كلمات من خط النار الأول، عبد الله عزام، (٨٤/١).

(٣) ينظر: الأعضاء السلفية على الجماعة الإخوانية، لام أيوب نوره بنت أحسن غاوي، ص(٢٦، ٢٧).

(٤) ينظر: مجموعة رسائل حسن البنا، المؤسسة الإسلامية، ص(٤١٦).

(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)^(١).

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره)^(٢)، لذلك فالسلف يفسرون الاستواء بالعلو ويسكتون عن الكيفية ومعلوم أن ما ينطبق على صفة ينسحب على كل الصفات، وقال (رحمه الله): (فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر)^(٣).

قال حسن البنا: (ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا، وهو خلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا)^(٤).

وهذا القول بأن هذا الخلاف لا يستحق ضجة ولا إعناتا خطأ لأن هذه من مسائل العقيدة والمخالف فيها مبتدع، لأنه لا بد من إتباع قول أهل السنة والجماعة في هذه المسائل فهي مسألة كبيرة عظيمة القدر وليس كما يقول الشيخ وقد اعتبر العلماء أن تأويل أسماء وصفات الله على غير مرادها أو عدم إثباتها نوع من الإلحاد في آيات الله ﷻ وقد تواعد الله ﷻ من يلحد في آياته فقال (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (٤٠) ((٥)).

فليس مقبولا التهوين من شأن الخلاف في مثل هذه المسائل العظيمة بل الواجب إثبات مذهب أهل السنة والجماعة وبيان أن الصحابة والتابعين قد اتفقوا في هذه المسألة على إقرار آيات وصفات الله ﷻ مع فهم معانيها وإثبات حقائقها^(٦).

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٥٥، ٥٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨) رقم (٦٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٥٠، ١٥١) وفي الاعتقاد (ص ٤٣)، والصابوني في عقيدة السلف ص (١٩، ١٧) رقم (٢٤، ٢٥، ٢٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/١٣٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو ص (١٧٢، ١٧٣)، والذهبي في العلو ص (١٣٨، ١٣٩) رقم (٣٧٧، ٣٧٨) عن مالك بن أنس، وصحح إسناده، ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٧) رقم (٦٦٤)، والصابوني في عقيدة السلف (ص ١٦) (رقم (٢٣)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٥٨) رقم (٦٧) عن أم سلمة - رضي الله عنها - وقد ضعف إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص (١٣٣). ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨) رقم (٦٦٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٥١)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٦٤) رقم (٧٤)، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ١٣٣): (ومثل هذا الجواب - يعني جواب مالك - ثابت عن ربيعة شيخ مالك.. أنظر ما ذكره المحشي لرحلة البحوث الإسلامية الجزء (٦)).

(٢) ينظر: الإكليل في التشابه والتأويل، لشيخ الإسلام بن تيمية، المطبعة السلفية، ص (٥٠).

(٣) ينظر: مجموعة رسائل الكبرى، (٢/٢٢).

(٤) ينظر: مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٧).

(٥) سورة فصلت، الآية (٤٠).

(٦) ينظر: الصواعق المرسلة، لابن القيم، (١/٢١٠).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: (ومن رغب عن هذه العقيدة الحققة السالمة، والضامنة لأصحابها النجاة بإذن الله U إلى غيرها من عقائد الخلف المتنوعة، والتي هي محفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة الجانب، وأثرها في تفريق المسلمين وتشيت شملهم معروف لا ينكر، ومعلوم لا يجحد)^(١).

وما لنا نذهب بعيدا وهؤلاء أقطاب الخلف ومؤسسه اعترفوا بزيفه وأقروا بضلاله، وأنه كسراب بقية يحسبه الظمان ماء، وشهدوا على أنفسهم بالحيرة والندم على ما اعتقدوا في الله لما تبين لهم تناقضه، وذلك واضح كالربابة في السماء في أقوال أئمتهم وأذكيائهم كأبي الحسن الأشعري، وأبي المعالي الجويني، ووالده، والفخر الرازي، والشهرستاني، وغيرهم، وقولهم يخالف أقوال أهل العلم من سلف الأمة.

قال ابن تيمية (رحمه الله): (إن الذي أقره الله في فطر عباده وجبلهم عليه أن ربهم فوق سماواته ومن زعم خلاف ذلك فهو جهمي كما أنشد عبد الله بن رواحه للنبي ﷺ فأقره النبي ﷺ شهدت بان وعد الله حق وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا)^(٢).

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: الملقب بإمام الأئمة وهو ممن يعرج أصحاب الشافعي بما ينصره من مذهبه ويكاد يقال ليس فيهم أعلم بذلك منه (من لم يقل أن الله فوق سماواته على عرشه باين من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقى على مزبلة لنلا يتأذى بنتن ريحه أهل الملة ولا أهل الذمة وكان ماله فينا)^(٣).

والآثار عن النبي ﷺ وأصحابه وسائر علماء الأمة بذلك متواترة عند من تتبعها وقد جمع العلماء فيها مصنفات صغارا وكبارا ومن تتبع الآثار علم قطعا أنه لا يمكن أن ينقل عن احد منهم حرفا واحدا يناقض ذلك، بل كلهم مجمعون على كلمة واحدة وعقيدة واحدة يصدق بعضهم بعضا وإن كان بعضهم أعلم من بعض، كما أنهم متفقون على الإقرار بنبوته محمد ﷺ وإن كان فيهم من هو أعلم بخصائص النبوة ومزاياها وحقوقها وموجباتها وحقيقتها وصفاتها.

لم يقل احد يوما من الدهر: ظاهر هذا غير مراد ولا قال هذه الآية أو هذا الحديث مصروف عن ظاهره مع أنهم قد قالوا مثل ذلك في آيات الأحكام المصروفة عن عموم ظهورها وتكلموا فيما يستشكل مما قد يتوهم أنه تناقض وهذا مشهور لمن تأمله وهذه الصفات أطلقوها بسلامة وطهارة وصفاء لم يشوبه بكدر ولا غش، لو لم يكن هذا هو الظاهر عند المسلمين لكان رسول الله ﷺ ثم سلف الأمة قالوا للأمة الظاهر الذي تفهمونه غير مراد ولكان أحد من المسلمين

(١) عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري.

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام بن تيمية، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م (٤٧٤/٦).

(٣) السابق.

استشكل هذه الآية وغيرها فان كان بعض المتأخرين قد زاغ قلبه حتى صار يظهر له من الآية معنى فاسد مما يقتضى حدوثا أو نقصا فلا شك أن الظاهر لهذا الزائغ غير مراد^(١).

روى معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل احد والجوانية^(٢)، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون^(٣) ولكني صككتها صكه^(٤) فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: "أنتني بها" فأتيته بها، فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء، قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة"^(٥).

وقد أبان سعيد حوى عن فساد إنتماءاتهم العقدية فقال: (إن للمسلمين خلال العصور أنتمهم في الاعتقاد وأنتمهم في الفقه وأنتمهم في التصوف والسلوك إلى الله ﷻ فأنتمهم في الاعتقاد: كأبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي)^(٦)، وقال: (وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنيين: أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي)^(٧).

ومذهب الأشاعرة ومذهب الماتريدية ليسا كمذهب السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، فالأشاعرة والماتريدية يؤولون صفات الباري ويعطلونها بينما الذي درج عليه السلف في الصفات الإلهية هو: الإقرار، والإمرار، والإثبات لما ورد من صفات الله ﷻ في كتابه الحكيم وسنة رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويلها بما لا يتفق مع مراد الله ﷻ ورسوله، وهذا ما جاء صراحة على لسان أئمة السلف: فقد اثبتوا الله ﷻ جميع صفات الكمال التي صرح بها الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تعطيل في إطار قول الله ﷻ: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١))^(٨).

قال الإمام الشهرستاني حكاية عن أئمة السلف: (وأما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل، ولا تهدفوا للتشبيه، فمنهم مالك بن انس (رحمه الله) إذ قال: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومثل احمد بن حنبل رحمه الله، وسفيان الثوري، وداود

(١) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام بن تيمية في الفقه (٣٣/ ١٧٩).

(٢) الجوانية: بالفتح وتشديد ثانيه وكسر النون وياء مشددة، هي اليوم حي العيون داخل المدينة، ينظر: معجم البلدان (١٧٥/٢).

(٣) يقال: أسف يأسف أسفا فهو آسف إذا غضب. ينظر: النهاية. مادة: أسف.

(٤) الصك: الضرب.

(٥) أخرجه مسلم (٣٨١/١) كتاب المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة (٣٣/ ٥٣٧)، وأبو داود (٢٤٤/١) كتاب الصلاة، باب:

تشميت العاطس في الصلاة (٩٣٠)، والنسائي (١٤/٣)، كتاب السهو.

(٦) ينظر: حوالات في الفقهين الكبير والأكبر، ص (٢٢).

(٧) السابق، ص (٨١، ٦٦)، وينظر: الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ص (٢٢٤).

(٨) سورة الشورى، الآية (١١).

بن علي الأصفهاني، ومن تابعهم^(١).

قال ابن قدامه (رحمه الله): (الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم، وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى ﷺ، من صفات الرحمن، وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم، والقبول، وترك التعرض له بالرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، وما أشكل من ذلك وجب إتيانه لفظاً، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهده على ناقله، إتباعاً لطريقة الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين حيث قال الله ﷻ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧))^(٢) وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) فالتأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الدم، ثم حجبه عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه^(٣).

على هذا درج السلف، وأئمة الخلف ﷺ كلهم متفقون على: الإقرار، والإمرار، والإثبات، لما ورد من الصفات في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله^(٤).

قال شيخ الإسلام بن تيمية: في العقيدة الواسطية (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله، وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفاء له، ولا ند له، ولا قياس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه اعلم بنفسه، وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون ما لا يعلمون، ولهذا قال (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢))^(٥)، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين، لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف، وسمي به نفسه بين النفي، والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء

(١) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني، (٩٣/١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٣) ينظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامه المقدسي (٦٣٠:٥٤١هـ)، تحقيق هاني الحاج، ط مكتبة العلم، (٨/١).

(٤) السابق، ص (٣٢:٢٢).

(٥) سورة الصافات، الآيات (١٨٢:١٨٠).

به المرسلون، فإن الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين^(١).

٣ - تعاوّنهم مع الرفضة ومن على شاكلتهم:-

ارتكب الإخوان مزالق عقدية خالفوا فيها عقيدة أهل السنة والجماعة في ولائهم وبرائهم فقرروا قاعدة شهيرة عندهم ألبسها عليهم إبليس وأعوانه نصها^(٢) أنه ينبغي أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، فتراهم وهم ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعه لهم إمامهم حسن البنا لا يميزون بين من هم على منهج أهل السنة والجماعة ومن هم ليسوا على هذا المنهج من الأشاعرة المعتزلة والرفضة فالكل يوالونه ويحاولون كسبه لدعوتهم، ولو بقي على معتقده ما دام هنالك ما يجمع بينهم، وكما يصرح قادتهم أنه يكفي أن يجمع بيننا ما نكون به مسلمون وهو الشهادتان، ولقد وصل بهم الحال أنهم يقبلون في جماعتهم من هم ليسوا من أهل السنة أصلا كالشيعة الرفضة وغيرهم من أهل الزيغ والضلال.

وما علموا أنهم بمنهجهم هذا يهدمون ركنا من أركان التوحيد وليس في هذا القول مبالغة إذا علمنا أن تاريخهم يشهد بالتعاون مع الرفضة وكثير من الفرق الضالة لإرجاع الإسلام المضيع في زعمهم، بل بلغ بهم الأمر إلى التعاون مع النصارى حتى إن مؤسس الجماعة يقول بالحرף الواحد (أقر أن خصومتنا مع اليهود ليست دينية)^(٣).

واليك الشواهد على ذلك من أقوالهم وكتبهم :

يقول التلمساني ناقلا عن البنا: (أعلموا أن أهل السنة والشيعة مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وهذا أصل العقيدة والسنة والشيعة فيه سواء وعلى النقاء أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما)^(٤).

يقول عز الدين إبراهيم^(٥): (قام حسن البنا بمجهود ضخم على هذا الطريق يؤكد ذلك ما يرويه الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة من أن بعض الطلاب الشيعة الذين كانوا يدرسون في مصر قد انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومن المعروف أن صفوف الإخوان في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة الإمامية

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام بن تيمية، تأليف د: محمد خليل هراس، ط مكتبة التراث الاسلامي، ص(٢٥/١٣).

(٢) ينظر: حقيقة الإخوان المسلمين وإن شئت فقل الإخوان المغلسين، ص(٧).

(٣) ينظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، أستاذ محمود عبد الحليم، رؤية من الداخل، دار الدعوة، الإسكندرية،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م (٤٠٩/١)، وحسن البنا مواقف في الدعوة والتربية، ص(٤٨٨).

(٤) ينظر: ذكريات لا مذكرات، للتلمساني، دار الاعتصام، القاهرة، ص(٢٥٠).

(٥) ينظر: موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية، ص (١٥).

الأثني عشرية، وعندما زار نواب صفوي سوريا وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين اشتكى إليه الأخير أن بعض شباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية فصعد (نواب) إلى أحد المنابر وقال أمام حشد من الشباب الشيعة والسنة: من أراد أن يكون جعفرًا حقيقياً فلي انضم إلى صفوف الإخوان المسلمين^(١).

ولهم أيضاً قاعدة ينطلقون منها وهي الغاية تبرر الوسيلة، فتراهم وهم يطبقون هذه القاعدة ويررون مواقفهم باسم مصلحة الدعوة فهم يخالفون ما يعتقدونه، باسم مصلحة الدعوة وكأن الله U والعياذ بالله جعلهم أوصياء على دعوته وأن الدعوة ستذهب وتزول وليس لها أحد إلا هم إن لم يتداركوها، وما هذا إلا أحد مظاهر تقديم العقل على النقل أو ما يسمى بالعقلانية الحديثة التي كان أول من ابتدعها المعتزلة .

وأدى الخلل العقدي عند الإخوان إلى نتائج سيئة يمكن استخلاصها في ما يلي:

الأولى:- عدم استقرار أعضاء هذه الجماعة على معتقد معين، فلكل فرد معتقد يخصه بل الفرد الواحد تجد عنده خليط من المعتقدات وما ذاك إلا لتضارب أقوال أئمتهم في جوانب الاعتقاد وفقد الأساس العلمي في التمييز بين الحق والباطل.

الثانية:- انفتاح هذه الجماعة على كل مستجد من الدعوات الباطلة ابتداء بتقارب السنة والشيعة وانتهاء بوحدة الأديان .

الثالثة:- تكريس هذه الجماعة للضلالات الموروثة عن الفرق الضالة باحتواء ممثليها في هذا العصر واستمداد التربية والتوجيه منهم .

الرابعة:- زج الشباب في فتن الدماء في العديد من بلاد المسلمين لغلبة الجهل في المنتسبين لهذه الجماعة وقلة الحكمة في قياداتها وتأثير كل من هب ودب في مواقفها دون النظر في عواقب الأمور .

الخامسة:- فرخت هذه الجماعة فرقة ضالة ومنحرفة هي: جماعة التكفير والهجرة، التي أسسها الشيخ على إسماعيل رحمه الله وهو من الإخوان، إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار التي كان ينادى بها، ثم تولى قيادة الجماعة شكري أحمد مصطفى (أحد شباب جماعة الإخوان المسلمين) بعد أن تبرأ من أفكارها الشيخ على إسماعيل، وجماعة التكفير والهجرة هذه استحلّت دماء المسلمين فعاثوا في الأرض فساداً من قتل ونهب وتفجيرات .

(١) ينظر: الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، د. إسحاق موسى الحسيني، ص(١٥٠).

المبحث الثاني: توحيد الإلهوية في السياسة الشرعية وسياسة الإخوان:

المطلب الأول: توحيد الإلهوية ومقتضياته عند أهل السنة والجماعة:-

إن المتأمل في دعوة الأنبياء من خلال آيات القرآن يجد أن الغاية والهدف من بعثهم واحدة، وهي الدعوة إلى إثبات التوحيد وإبطال الشرك ومحاربة الفساد، وهذا هو الأصل الذي دعا إليه كل رسول من رسل الله وإن تنوعت مناهجهم في الإصلاح، إلا أنه قد اتفقوا في الدعوة على وحدانية الله U .

وأوجب الله U على عباده المؤمنين الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام وبما أتوا به من كتب ربهم، وعدم التفريق بين أحد منهم.

قال الله U (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)^(١).

وإذا كانت الأصول متفق عليها لدى الأنبياء جميعاً، فإن هناك أموراً تختلف من دين إلى دين، وهي الأمور الفقهية الفرعية، فما يناسب أمة قد لا يناسب الأخرى، وما يكون مناسباً في وقت قد لا يناسب الوقت الآخر.

قال الله U (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا حَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)^(٢).

أما توحيد الإلهوية الذي أرسل الله U به كل أنبيائه ورسله ينبغي أن تكون لنا معه وقفة متأنية نتعرف من خلالها على مفهومه في اللغة والاصطلاح .

توحيد الإلهوية هو مركب إضافي من كلمتين: توحيد، وإلهوية:

أولاً: التوحيد في اللغة والاصطلاح:-

١ - التوحيد لغة: الوجدانية: الفردانية^(٣).

والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة، ويطلق الواحد على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح وصفه به، يقال عشرة واحدة وألف واحد^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط المكتبة العلمية (١٧٠/٥).

(٤) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، حرف الواو، ط دار المعرفة، ص (٨٠٩، ٨٠٨).

فإذا وصف الله بالواحد فمعناه: الذي لا يصح عليه التجزؤ ولا التكثر، ولصعوبة هذه الوحدة قال الله U (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥))^(١) (٢).

٢ - التوحيد اصطلاحاً:-

قال ابن حجر العسقلاني: (قد عرف أهل السنة التوحيد: بأنه نفى التشبيه والتعطيل، بمعنى أنه منفرد بذاته وصفاته، فلا نظير له ولا شبيه له، لأنه واحد في ذاته فلا انقسام له، وواحد في صفاته فلا شبيه له، وواحد في إلهيته فلا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره)^(٣).

قال الإمام الطحاوي:

ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان:

١ - توحيد في الإثبات والمعرفة

٢ - توحيد في الطلب والقصد

فالأول :- هو إثبات حقيقة ذات الرب وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ وقد حكى القرآن الكريم أن المشركين مقرون به، قال الله U (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧))^(٤).

والثاني:- وهو توحيد الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهوية والعبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وغالب سور القرآن الكريم متضمنة لهذا التوحيد بنوعيه بل كل سورة فيه، القرآن الكريم إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وأما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، وهو التوحيد الإرادي الطلبي، وأما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وأما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يلج بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد^(٥).

وعلى هذا يكون التوحيد هو أساس الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه.

(١) سورة الزمر، الآية (٤٥).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (١٧١/٥، ١٧٢)، والتوحيد مفتاح دعوة الرسل، موسى محمد علي، الناشر محمد نجيب الصابوني بتصرف، ص(٦٦).

(٣) ينظر: التوحيد، بن حجر العسقلاني، طبعة دار الآفاق الجديد، بيروت، ص (١١٤).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٨٧).

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة دار الفكر العربي، ص(٢٨)، والتوحيد مفتاح دعوة الرسل، ص(٧٢:٦٦).

٣ - الإله لغة: -

جاء في لسان العرب: - (الإله: الله U وكل ما اتخذ من دونه معبودا إله عند متخذه، والجمع آله).

والآلهة: الأصنام، سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقادهم لا ما عليه الشيء في نفسه.

قال أبو الهيثم: فالله أصله (إله)

قال الله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١)) (١).

وقال: ولا يكون إلهها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعبده خالقا ورازقا ومدبرا وعليه مقتدرا، فمن لم يكن كذلك فليس باله، وان عبد ظلما بل هو مخلوق ومتعبد (٢).

٤ - توحيد الإلهية باعتباره علما مستقلا: -

عرف علماء التوحيد توحيد الإلهية بأنه الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة، مع القيام بصرف هذه العبادات له وحده، ولا يصرف منها شيء لغيره، وهذا المعنى هو ما تعبر عنه شهادة لا إله إلا الله (٣).

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكيم رحمه الله: (توحيد الإلهية هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضا به ربا وإلهيا وألا يجعل له عدلا في شيء من الأشياء) (٤).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: - (هو تعلق القلب بالرب تعالى خوفا، ورجاء، ورهبة وطمعا، كما هو إسلام الوجه لله) (٥).

هذا النوع من التوحيد هو أهم أنواعه الثلاثة وأعظمها، فهو بداية الطريق إلى الإصلاح، وهو جوهر الإسلام، من أجله بعث الله الرسل والأنبياء فتحملوا جميع الشدائد، ومن أجله أنزل الله الكتب والرسالات، فلفت أنظار خلقه فيها إلى آياته في الأفاق وفي أنفسهم، وخاطبهم بخطاب العقل، وتارة بخطاب الحش، وتارة بخطاب العاطفة، فأراهم تنطق بوحدانيته، فما من سورة من سور القرآن الكريم إلا وقد اشتملت على وحدانية الله المطلقة.

(١) سورة المؤمنون، الآية (٩١).

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (إله) (١١٤/١).

(٣) ينظر: شرح الطحاوية، ص (٣٣)، ومدارج السالكين، لابن القيم، (٦٢/١).

(٤) ينظر: معارج القبول، حافظ بن أحمد حكيم، (٣٧/١).

(٥) ينظر: عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري ص (١٠٢).

ثانياً: مقتضيات توحيد الإلهية:-

الناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن لتوحيد الإلهية مقتضيات، ومن أبرز هذه المقتضيات ما يلي:

١ - إفرااد الحق تبارك وتعالى وحده بالعبادة دون سواه:-

من مقتضيات توحيد الإلهية أن يؤمن المرء الإيمان القاطع الجازم أن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة في الدنيا وأنه لا يجوز صرفها لملك مقرب ولا لنبى مرسل ولا لولي صالح، فضلاً عن الأشجار والأحجار والشياطين وغيرها، ولذلك أقسم الله سبحانه وتعالى أن العبادة حقه، قال تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(١)، وقال الله U (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)^(٢)، وقال الله U (فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)^(٣)، وقال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)^(٤)، وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)^(٥).

قال الإمام ابن كثير (رحمه الله): (شرع تعالى في بيان وحدانية إلهيته بأنه هو المنعم على عبده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة وأنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره، وهذه الآية استدلال على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم لا إله غيره ولا رب سواه)^(٦).

٢ - الانصراف التام عن كل ما عدا الله سبحانه وتعالى:-

الإيمان بتوحيد الإلهية يقتضي الإيمان بوجود الله ووحديته، وتفرد به بالخلق والتدبير والتصرف، وتنزهه عن المشاركة في العزة والسلطان، والمماثلة في الذات والصفات فلا يصح بحال أن تخضع القلوب وتنحج إلى شيء سواه، قال الله U : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤))^(٧).

(١) سورة آل عمران، الآية (١٨).

(٢) سورة محمد، الآية (١٩).

(٣) سورة هود، الآية (١٤).

(٤) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٦) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، الشيخ محمد علي الصابوني، طبعة دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٢هـ - (٣٨/١).

(٤١)، باختصار.

(٧) سورة الإخلاص، الآية (٤).

وقال الله U (قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤))^(١)، وقال الله U (قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤))^(٢).

والغاية من العبادة هي تحقيق العبودية لله U وتحقيق الإخلاص له سبحانه وتعالى في طاعته U فقبول الأعمال متوقف على الإخلاص فيها، قال الله U (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١))^(٣).

قال الإمام القرطبي (رحمه الله): في تفسير هذه الآية (بين الله فيها أن العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص ولذلك قال (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ))^(٤)، قال الله U (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠))^(٥).

قال الفضيل بن عياض^(٦) (رحمه الله): في قول الله U (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧))^(٧) (قال: أخلصه، وأصوبه، قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا وصوابا)^(٨).

فإذا لم يكن العمل خالصا كان مردودا على صاحبه، قال الله U في الحديث القدسي "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك"^(٩)

(١) سورة الأنعام، الآية (١٤).

(٢) السابق، (١٦٢: ١٦٤).

(٣) سورة الروم، الآية (٣١).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، مطبعة دار الكتب، سنة ١٩٣٨م (٣٤/١٤).

(٥) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٦) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو على التميمي اليربوعي الخراساني، أحد أعلام التصوف في القرن الثاني الهجري، ولد في سمرقند سنة ١٠٧ هـ، ونشأ بأبيورد، لقّب بـ"عابد الحرمين"، قال عنه النسائي: ثقة مأمون رجل صالح، وقال عنه ابن المبارك: ما بقى على ظهر الأرض عندي أفضل منه، وقال عنه الذهبي: الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام، وقال عنه ابن حجر: ثقة عابد إمام، توفي في محرم سنة ١٨٧ هـ.

(٧) سورة هود، الآية (٧).

(٨) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ص(١٤).

(٩) أخرجه مسلم (١٤٧١/١) كتاب الزهد والرفائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، رقم (٤٦) (٢٩٨٥).

٣ - الاعتقاد الذي لا يشوبه ريب أنه تعالى هو رب العالمين لا شريك له: -

من مقتضيات توحيد الإلهية اعتقاد العبد بأن الله تعالى واحد لا شريك له في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله؛ تتوجه إليه سائر المخلوقات بالعبادة بلا وسيط ولا شريك، وإليه يتوجه الناس جميعا بالدعاء فهو المعبود بحق، ولا معبود بحق إلا الله، ولا يشاركه في ذلك أحد، فالشرك يخالف مقتضيات توحيد الإلهية، قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي: (فأما الشرك الأكبر فهو أن يجعل لله ندا يدعو كما يدعو الله أو يخافه أو يرجوه، ويحببه كحب الله أو يصرف له نوعا من أنواع العبادة)^(١)

فالشرك بالله هو أن يجعل العبد مع الله شريكا في الإلهية أو الربوبية، ومساواة غير الله بالله، قال الله U (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٢). لقد كان المشركون يعترفون بالربوبية ولكنهم يشركون مع الله في الإلهية والعبادة، فيعبدون أصناما لا تنفعهم إن عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها.

قال الإمام بن كثير الدمشقي (رحمه الله): (ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدا)^(٣)، ولقد ندد القرآن الكريم بالشرك وحذر منه وبين سوء عاقبته وأظهر حال الآلهة المزيفة المعبودة من العجز الشنيع والضعف البالغ الذي هو دليل قاطع على عجزها وسقوط إلهيتها. ومن صفات العجز كذلك بعد أن عجزت في الدنيا عن نفع أو ضرر عابديها، أنها تتبرأ يوم القيامة من عابديها. وعجز هذه الآلهة المتخذة من دون الله دليل واضح على وحدانية الله تعالى وكمالها، قال الله U (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاعِبُونَ)^(٤).

وقال الله U (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)^(٥)، وقال الله U

(١) ينظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، ص (٢٤) بدون طبعة وتاريخ.

(٢) سورة يونس، الآية (١٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤١٢/٢).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٨).

(٥) السابق، الآيات (٣٦:٣٤).

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)) (١).

قال الشنقيطي (رحمه الله) في أضواء البيان: (ألقم الله تعالى المشركين في هذه الآيات حجرا، بأن الشركاء التي يعبدونها من دونه لا قدرة لها على فعل شيء، وأنه هو وحده جل وعلا الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بالإحياء مرة أخرى، وأنه يهدي من يشاء، وأكد الله U علي هذا المعنى في كثير من آي القرآن الكريم فقال: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا) (٢)، وقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ تَوْفَكُونَ) (٣)، وقال (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (٤)، وقال: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٥)، وقال: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (٦)، (أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) (٧)، وقال: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)) (٨).

والآيات في مثل ذلك كثيرة، ومعلوم أن تسوية ما لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على شيء مع من بيده الخير كله، المتصرف بكل ما شاء لا تصدر إلا ممن لا عقل له كما قال الله U عن أصحاب ذلك (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (٩)(١٠).

(١) سورة الروم، الآية (٤٠).

(٢) سورة الفرقان، الآية (٣).

(٣) سورة فاطر، الآية (٣).

(٤) سورة النحل، الآية (١٧).

(٥) سورة الرعد، الآية (١٦).

(٦) سورة الزمر، الآية (٣٨).

(٧) سورة الملك، الآية (٢١).

(٨) سورة العنكبوت، الآية (١٧).

(٩) سورة الملك، الآية (١٠).

(١٠) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٤٨٣، ٤٨٢/٢).

قال الإمام ابن كثير الدمشقي (رحمه الله): (أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى؛ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا)^(١).

قال د. محمد محمود حجازي: (فالشرك هو الغطاء الكثيف الذي يمنع نور الإيمان من الوصول إلى القلب، وهو منتهى ما تلبس إليه عقول البشر، ومنه تتولد سائر الرذائل التي تهدم الأفراد والجماعات، ولا غرابة في ذلك فالشرك بالله يفهم في حجر أو بشر مثله أو جناد لا حياة فيه تأثيرا في الكون وبعده ليقربه إلى الله زلفى)^(٢).

والشرك هو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وذلك لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحدا فقد شبهه به، وهذا أعظم ظلم، قال الله ﷻ (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)^(٣).

وقد أخبرنا الله ﷻ أنه حرم الجنة على المشرك، وأنه - أي المشرك - خالد مخلد في النار، قال الله ﷻ (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢))^(٤)، أضف إلى ذلك أن الشرك يحبط جميع الأعمال قال الله ﷻ (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨))^(٥).

ولقد خاطب الله ﷻ نبيه ﷺ قائلا (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥))^(٦).

ولهذه الأمور وغيرها كان الشرك من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، و لذلك كانت محاربة الشرك من أهم الأمور التي حرص عليها الكتاب الكريم.

ولقد كان الرسل -عليهم السلام- يسلكون مع أقوامهم كل أسلوب عقلائي منطقي لإثبات الوحداية المطلقة لله رب العالمين، وإبطال عبادة الأوثان من دونه، وكانوا في سبيل ذلك يعلنون حربهم وإنكارهم للشرك والمشركين.

(١) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢/١١١) بتصرف.

(٢) ينظر: التفسير الواضح، د. محمد حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، الطبعة العاشرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م (١/٣٨٤) بتصرف.

(٣) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٤) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٨٨).

(٦) سورة الزمر، الآية (٦٥).

ومن مقتضيات توحيد الإلهية أن الحكم لله؛ لأنه ما دام الله هو الخالق المالك لكل ما في الكون فهو وحده المتصرف في أمور هذا الكون.

قال الله U (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤))^(١)

وما دام الأمر كذلك فالتشريع حق لله وحده يختص به دون سائر خلقه، وهذا من مقتضيات توحيد الإلهية ومن مقتضيات وحدانية الخالق جل شأنه.

وقد قرر القرآن الكريم ذلك في صراحة ووضوح في أكثر من آية من آيات الذكر الحكيم قال الله U (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)^(٢)، والحكم هنا يعني الحكم التشريعي الذي هو حق الله تعالى المطلق على عباده.

قال الإمام بن كثير الدمشقي (رحمه الله) (ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وحكم الجاهلية يعني سنة الجاهلية في القضاء)^(٣).

قال الله U (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)^(٤)، إشارة إلى أنه مهما اختلفتم فيه من الأمور فحكمه إلى الله؛ أي: هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه، وهو كقول الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩))^(٥).

وليس للمؤمن أن يتأبى أو يتمرد على حكم الله، ولا أن يجادل أو ينازع في قضاء قضاه الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦))^(٦).

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (إذا عرف هذا فالرضا بالقضاء الديني واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضيا بلا حرج ولا منازعة ولا

(١) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٠).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، طبعة دار المعرفة بيروت ١٩٨٢م، (٦٧/٢).

(٤) سورة الشورى، الآية (١٠).

(٥) سورة النساء، الآية (٥٩).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

اعتراض، فأقسم أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ٢ وحتى يرتفع الحرج عن نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليماً كاملاً، وهذه حقيقة الرضا بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان^(١).

قال الله U (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥))^(٢)، وقال الله U (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧))^(٣).

فهذه الآيات تدل صراحة على وجوب التزام السلطة الحاكمة في ممارسة أعمالها واختصاصاتها بالتشريع الإسلامي، حيث جعلت من يرفض ممارسة سلطاتها به كافراً، وظالماً، وفاسقاً، وهذا أعظم بيان في أن السلطة الحاكمة في النظام الإسلامي يجب أن تكون إزاء ممارسة أعمالها واختصاصاتها خاضعة لشرع الله وملزمة بضوابطه، ويتحتم عليها أن تحكم بما أنزل الله وتلتزم في ممارسة سلطاتها بتشريعه الخالد، وإن اخترعت حكماً يخالف حكم الله أو شرعاً يعارض شرع الله، وجعلته تشريعاً تحكم به وتمارس سلطاته على أساسه فقد لزمها الوعيد المذكور.

قال بن حزم الأندلسي (رحمه الله): (ولا يحل الحكم إلا بما أنزل الله تعالى على لسان رسوله ٢ وهو الحق وكل ما عدا ذلك فهو جور وظلم لا يحل الحكم به، ويفسخ أبداً إذا حكم به حاكم، ودليل ذلك قول الله U (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩))^(٤).

وقول الله U (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٥)، وقول الله U (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)^(٦).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩٢/٢).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٥:٤٤).

(٣) السابق، الآية (٤٧).

(٤) السابق، الآية (٤٩).

(٥) سورة النحل، الآية (٤٤).

(٦) سورة النجم، الآيتان (٤:٣).

وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) (١).

والظلم لا يحل إقراره، والخطأ لا يجوز إمضاؤه (٢)، وديدن المؤمن دائما وأبدا السمع والطاعة لكل ما ورد عن الله في أي أمر من الأمور وفي هذا يقول الله U (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٣).

وقال الله U أمراً رسوله ﷺ أن يعرض عن مزاعم المشركين وأهوائهم ويتمسك بالوحي الحكيم المنزل من رب العالمين (وَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)) (٤).

فالعبودية الحققة تعني الخضوع المطلق لله والتسليم الكامل لجميع أحكامه التي أنزلها في كتابه أو بينها رسوله ﷺ في سنته، لذا كان الخضوع للتشريعات الإسلامية في كل شئون الحياة من أعظم العبادات، وهذا بدوره يقتضي عدة أمور لتحقيق الخضوع التام والعبودية الحققة منها:-

١ - ألا يخضع الإنسان لله في نواح حياتية ويرفض شرعه في نواح أخرى، كأن يخضع لله في جانب الشرائع التعبدية الخضة كالصوم والصلاة والزكاة والحج مثلاً، ويرفض أمر الله في بقية شئون الحياة، ويتلقى أنظمة الحياة وقوانينها من عند غير الله، سواء مما يضعه له عقله أو عقول الآخرين من البشر (٥).

ومن ثم أنكر القرآن الكريم أبلغ الإنكار على بني إسرائيل في تجزئتهم للدين وأخذهم لبعض أحكام كتابهم وإعراضهم عن البعض الآخر، فقال الله U مقرعاً لهم (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)) (٦).

(١) سورة الطلاق، الآية (١)

(٢) ينظر: الخلى (٥٩/١).

(٣) سورة النور، الآية (٥١)

(٤) سورة يونس، الآية (١٥)

(٥) ينظر: كتاب الفكر الإسلامي. تأليف لجنة من الأساتذة، طبعة جامعة الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٣م، ص (١٤٦).

(٦) سورة البقرة، الآية (٨٥)

وكما لا يقبل من المسلم أن يرفض شيئاً مهما قل من القرآن الكريم، ويعتبر بذلك كافراً، فكذلك لا يقبل منه أن يرفض أي حكم قطعي ثابت من أحكام الشريعة مما علم من الدين بالضرورة، ورفضه لهذا يعتبر كفراً بالإسلام يخرج من الملة ويعزله عن الأمة.

٢ - ألا يتخذ الإنسان له مناهج وأنظمة حسب ما يملئ عليه هواه ومزاجه وعقله القاصر، ويتبعها مع مضادتها ومخالفتها لمنهج الله، إن من يفعل ذلك يكون كما عبر القرآن متخذاً الهوى إلهاً من دون الله، وقد حذرنا الله من ذلك قائلاً (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ((٢٣)) (١)(٢).

٣ - وحتى تتحقق الهوية الإسلامية لأي مجتمع مسلم لا بد أن تكون الدولة محكومة بأمر الله، والقوانين مستنبطة من قواعد الإسلام، والأفكار عن الحياة جميعاً إنما تستمد من عقيدة الإسلام، سواء تلك المتعلقة بالفرد في حياته الخاصة أو العامة، أو المتعلقة بالمجتمع والدولة، والأمة التي لا لون لمجتمعها، ولا عقيدة تقوم عليها أفكارها أمة ضائعة فاقدة الأفكار فاقدة لطريقة التفكير ولذلك تظل عالة على غيرها تابعة لسواها والتبعية لغير الله وشرعه ذل وضياح وهوان، وفي الوقت نفسه تمثل هذه التبعية لونا من ألوان الاستدراك على الله والتعالم من العباد على ربهم، واتهامهم له سبحانه بقصور العلم والحكمة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

المطلب الثاني: القبورية عند الإخوان والرد عليهم:-

بينما فيما سبق عدم اهتمام الإخوان بالمسائل العقائدية مما أوقعهم في المحظورات الشرعية ومن ذلك قول أشياخهم.

قال حسن البنا: (كنا أيام الجمع التي نقضيها في دمنهور نقترح رحلة لزيارة الأولياء القريين من دمنهور فكنا أحيانا نزور دسوقي فنمشي على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة بحيث نصل حوالي الساعة الثامنة صباحاً ونقطع المسافة في ثلاث ساعات وهي عشرون كيلومتراً ونزور ونصلي الجمعة ونستريح بعد الغداء ونصلي العصر ونعود أدرأجنا إلى دمنهور حيث نصل إليها بعد المغرب تقريباً، وكنا أحيانا نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر، من خواص رجال الطريقة الخصافية والمعروفين بصلاحهم وتقواهم ونقضي هناك يوماً كاملاً ثم نعود) (٣)، قال مصطفى السباعي: وهو أمام قبر النبي ﷺ شاكياً له همه من شدة مرضه وآلامه:

(١) سورة الجاثية، الآية (٢٣)

(٢) ينظر: كتاب الفكر الإسلامي، ص(١٤٦)

(٣) ينظر: مذكرات الدعوة والداعية ص (٣٣).

يا سائق الظعن نحو البيت والحرم
 إن كان سعيك للمختار نافلة
 يا سيدي يا حبيب الله جئت إلى
 يا سيدي قد تمادى السقم في جسدي
 الأهل حولي غرقى في رقادهم
 قد عشت دهرًا مديدًا كله عمل
 يا سيد طال شوقي للجهاد فهل
 ونحو طيبة تبغى سيد
 فسعي مثلي فرض عند ذي الهمم
 أعتاب بابك أشكو البرء من سقمي
 من شدة السقم لم أغفل ولم أنم
 أنا الوحيد الذي جفاه النوم من ألم
 واليوم لا شيء غير القول والقلم
 تدعو لي الله عودًا عالي^(١)

وأغلب الإخوان صاروا على هذه السنن الخبيثة التي ما أنزل الله بها من سلطان فشرعوا لهم ما لم يأذن به الله.

وقد حرم أهل العلم شد الرحال لزيارة القبور وهو قول الإمام مالك^(٢) وبه قال أبو محمد الجويني^(٣) والقرطبي^(٤) وابن القيم وابن عبد الهادي وهو مروي عن جماعة من الأحناف^(٥) ورواية عند الحنابلة^(٦) واختاره جمع من علماء المحققين كمبارك الميلي^(٧) والشيخ محمد بن إبراهيم^(٨) وغيرهم.

وقال ابن بطة: (ومن البدع شد الرحال إلى زيارتها)^(٩). ودليل الجميع ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد الأقصى"^(١٠).

وما رواه أبي بصرة مرفوعاً: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيلياء أو مسجد بيت المقدس"^(١١).

(١) ينظر: مجلة حضارة الإسلام، ص (٥٦٢، ٥٦٣)، عدد خاص، جمادى الآخر، رجب، شعبان، ١٣٨٤هـ، عدد (٤، ٥، ٦).

(٢) ينظر: عون المعبود (٢٥/٦).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٨/٩).

(٤) ينظر: المفهم (٤٥١/٣، ٤٥٢، ٥٠٧، ٥٠٨).

(٥) ينظر: زيارة القبور الشرعية والشركية للبركوي، ص (٢٢)، وجهود علماء الحنفية (١٦٠٠/٣).

(٦) ينظر: الإنصاف (٣١٧/٢).

(٧) ينظر: الشرك ومظاهره، ص (٣٥٨).

(٨) ينظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٢٦/٦).

(٩) ينظر: الشرح والإبانة، ص (٣٦٦).

(١٠) أخرجه البخاري (٦٣/٣) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث

(١١٨٩)، ومسلم (١٠١٤/٢) كتاب الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث (١٣٩٧/٥١١).

(١١) أخرجه مالك (١٠٨/١) كتاب الجمعة: باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة حديث (١٦) وأحمد (١٥١/٢)

قال الحافظ بن حجر العسقلاني (رحمه الله): (في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجههم، والثاني أسس على التقوى والثالث كان قبلة الأمم السالفة).

وقال (رحمه الله): (قال بعض المحققين: قوله "إلا إلى ثلاثة مساجد" المستثنى منه محذوف، فيما أن يقدر عاما فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة، أو أخص من ذلك. لا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة، وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة)^(١).

قال الأمير الصنعاني (رحمة الله): (وقد جاء ذكر شد الرحال في الحديث السابق كناية عن السفر، والسفر هو ما تعاهد الناس على تسميته سفرا، ولذلك قال: "لا تشد الرحال" لأي مقصد من المقاصد التي تحتاج إلى سفر فذكر شد الرحال، لأن الشد يلازمه غالبا)^(٢).

وخلاصة القول: أن شد الرحال يقصد به الزيارة مجردة عن أي فعل آخر، وقد يراد بذلك الزيارة التي يلازمها العبادة، من اعتكاف وصلاة وذكر، إلى غير ذلك من العبادات. قال في شرح كتاب التوحيد: (في الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ٣، وإلى غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعيادا، بل من أعظم الأسباب الإشراف بأصحابها، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلا مجرد الزيارة للقبور تبركا بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك)^(٣)، قال الأئمة من أهل العلم: (من نذر صلاة في مسجد لا يصل إليه إلا برحلة وراحلة فلا يصلها إلا في مسجده، إلا في الثلاثة المساجد المذكورة فإنه من نذر صلاة فيها خرج إليها)^(٤)، وذهب بعض العلماء إلى: (أن النذر بالصلاة فيها واجب دون غيرها لأن شد الرحال لا يكون إلا إليها)^(٥).

والحميدي (٤٢١/٢) رقم (٩٤٤) والطحاوي في (مشكل الآثار) (٢٤٢/١) وابن حبان (١٠٢٤ موارد) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن أبي بصرة به.

(١) ينظر: فتح الباري (٧٨/٣، ٨٠).

(٢) ينظر: سبل السلام (١٧٦/٢، ١٧٧).

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض (٣١٢/١).

(٤) ينظر: فتح القدير (٣٣٦/٢)، والشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه (١٧٣، ١٧٢/٢)، وجواهر الإكليل (٢٥٠/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١١/١٠، ٢١٢)، ومنار السبيل في شرح الدليل (٢٣٣/١)، وإعلام الساجد بأحكام المساجد للزرکشي، ص (٢٦٩).

(٥) ينظر: فتح الباري (٦٣/٣).

وقال بعضهم: (يخير بالنسبة للنذر ينذر الإنسان أن يصلي في بعض المساجد فإن شاء وفي به، وإن شاء صلى في غيره، إلا أن يكون نذر الصلاة في واحد من هذه المساجد فإن الوفاء يلزمه بما نذر فيها، وإنما خص هذه المساجد بذلك لأنها مساجد الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم وقد أمرنا بالاعتداء بهم)^(١).

قد يقول قائل: إن رسول الله ﷺ نهي عن شد الرحال إلى المساجد، فلا تدخل فيها القبور، ونقول: إن نهي الرسول ﷺ شامل لجميع الأشياء المعظمة من المساجد أو المشاهد أو القبور أو غيرها.

ولهذا لما ذهب أحد الصحابة مسافرا في زيارة جبل الطور في سيناء ولقيه بعد رجوعه صحابي آخر قال: من أين جئت؟ قال: جئت من جبل الطور، مع أن جبل الطور ليس فيه قبر ولا مسجد فقال له: لو رأيتك قبل أن تذهب لمنعتك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... الحديث"^(٢).

قال النووي (رحمه الله): (واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره)^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: (إن النبي ﷺ نهي عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تخصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيدا، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدا للذريعة)^(٤).

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (ولهذا اتفق السلف على أنه لا يستلم قبرا من قبور الأنبياء وغيرهم ولا يتمسح به ولا يستحب الصلاة عنده ولا قصده للدعاء عنده أو به؛ لأن هذه الأمور كانت من أسباب الشرك وعبادة الأوثان)^(٥).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: عند قول النبي ﷺ "لا تجعلوا

(١) ينظر: عون المعبود (١٢/٦).

(٢) الصحابييان هما: أبو هريرة وأبو بصرة الغفاري - رضي الله عنهما - وقصتهما رواها الطيالسي رقم (١٣٤٨)، وأحمد في مسنده (٦/٦) وإسناده صحيح كما قال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز ص (٢٨٧)، ط المعارف ١٤١٢هـ، وانظر: قصتين أيضا لكل من ابن عمر، وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهما في فهمهما الحديث عن شد الرحال. في المصدر السابق، ص (٢٨٦).

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١١٠/٥).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٥١/٣).

(٥) ينظر: كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه (٣١/٢٧).

قبري عيداً" (وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ٣ وإلى غيره من القبور والمشاهد؛ لأن ذلك من اتخاذها أعياداً، بل من أعظم أسباب الإشراف بأصحابها، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلا مجرد الزيارة للقبور تبركاً بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك)^(١).

المطلب الثالث: الاستعانة والتوسل بغير الله عند الإخوان المسلمين:-

لقد ذكر مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا عند حديثه عن أركان البيعة العشرة التي وضعها للناس وطلب من أتباعه أن يحفظوها ما يلي: (أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها: الفهم والإخلاص، والعمل والجهاد، والتضحية والطاعة، والثبات والتجرد، والإخوة والثقة)^(٢). وفي مبدأ الفهم ذكر تفصيلاته حسب فهمه للدين فقال: (وإن زيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم وتشديد القبور وإضاءتها والتمسح بها، والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال؛ سدا للذريعة). ثم أتبع هذه النقطة بنقطة أخرى قال فيها: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة)^(٣).

إن من المتفق عليه الذي لا خلاف فيه أن إثبات وسائط بين الله وخلقته شرك يجب أن يستتاب قائله منه؛ فإن تاب كان خيراً، وإلا قتل ردة؛ فالأمر لا هوادة فيه، فلا هدنة ولا أنصاف حلول؛ لأنه يتعلق بالعقيدة الخضة، وليس كما يزعم البنا وأشباهه أنه من الأمور الفرعية الخلافية التي لا تمت للعقيدة بصلة ألبتة، ولا تخدشها، وأنه أمر تذوق ووجد سبحانه الله! لقد أصبح دعاء الأموات عند عتبات قبورهم تضرعاً واستغاثة مشروعة لا شرك فيها ولا إلحاد!^(٤).

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام (رحمه الله): (ومن أثبت للأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وخلقته؛ كالحجاب الذين بين الملك ورعيته؛ بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله ٥ حوائج خلقه، وأن الله ٥ إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم؛ بمعنى أن الخلق يسألونهم، وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس؛ لقرّبهم منهم، والناس يسألونهم؛ أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك؛ لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط

(١) المختصر المفيد، ص (٢٧٤).

(٢) ينظر: من تراث الإمام البنا مجموعة رسائل الإمام البنا (٢٧٤، ٢٨٥).

(٣) مجموعة رسائل حسن البنا، رسالة التعاليم ص (٣٥٨)، وينظر: الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٥٩).

(٤) ينظر: الأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص (٦٦).

على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبهون لله؛ شبهوا الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أندادا^(١).

لقد تغافل البنا عفا الله عنه هو وأتباعه عن أن الدعاء من العقيدة بل لبها؛ لأنه نقطة الارتكاز في دائرة العبادة، بل هو العبادة بعينها، قال رسول الله ﷺ "الدعاء هو العبادة" ثم تلا قول الله ﷻ (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠))^(٢)؛ وذلك لأن الدعاء تضرع والتجاء إلى الله مهما كانت المسألة المطلوبة، وهو يظهر ذل العبد لربه وحاجته إليه ومسكنته بين يديه، والصحيح أن ذلك من مسائل العقيدة؛ فلقد جاءت الآيات المحكمات والأحاديث الصحاح والحسان متضافرة في الأمر به والخص عليه، قال رسول الله ﷺ "من لا يسأل الله يغضب عليه"^(٣)

والمسلم عليه أن يدعو الله مهما كانت المسألة المطلوبة؛ لما ثبت عن عائشة - رضي الله عنها - "سلوا الله كل شيء حتى الشسع؛ فإن الله ﷻ إن لم ييسره؛ لم يتييسر"^(٤).

ولنعد إلى حسن البنا ومقاتله التي قللت من شأن الخلاف في هذه المسألة وذلك في قوله: (خلاف فرعي)، وقد علمت أنه جوهري، مما يؤدي بالكثيرين إلى عدم البحث في هذه المسألة والتحقق منها؛ وهو ما يقود بدوره إلى استمرارهم في بدعتهم واستحسانها، ومن ثم استفحال أمر هذه البدعة العقدية الخطيرة، لاشك أن دعواه هذه تدفعنا دفع لعرض جوهر التوسل ومقصوده. أولاً/ التوسل لغة:-

قال ابن فارس: الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جدا: الأولى: الرغبة والطلب؛ يقال: وسل؛ إذا رغب، الثانية: السرقة؛ يقال: أخذ إبله توسلا^(٥)، وهذا المعنى الثاني غير مراد هاهنا. والوسيلة: الوصلة والقربى، وهي: التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود^(٦).

قال الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥))^(٧).

وقال الله ﷻ (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

(١) الواسطة، ص(٥).

(٢) سورة غافر، الآية (٦٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٤٢/٢).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٤/٨، ٤٥) رقم (٤٥٦٠)، ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤١٠/١) رقم (٣٥٦).

وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد رقم (٢٠٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢/٢) رقم (١١١٩).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١١٠/٦).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٣).

(٧) سورة المائدة، الآية (٣٥).

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) (١)

وقال الجوهري: (الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير، والجمع: الوسل، والوسائل) (٢).

وفي الحديث " اللهم آت محمدا الوسيلة" (٣)، والواصل: الراغب إلى الله تعالى (٤).

ومنه قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي رأي إلى الله واسل (٥)

ثانياً/ التوسل اصطلاحاً:

ولا يخرج التوسل في اصطلاح العلماء عن معناه في اللغة، فيطلق على الاستعانة، وهما لفظان متساويان لغة واصطلاحاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (الوسيلة هي: قرينة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه، أو هي: ما يقرب إلى الله تعالى من الواجبات والمستحبات دون المباحات أو المحرمات. مثال ذلك: الإيمان بالنبي وطاعته، أو دعاؤه وشفاعته، لا الإقسام على الله تعالى) (٦).

وقال أيضاً (رحمه الله): (ولفظ التوسل يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين):

الأول: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل إلى الله بالإيمان بالرسول ﷺ وبطاعته.

الثاني: التوسل بدعاء الرسول ﷺ وشفاعته.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين؛ أما الدليل على ذلك من القرآن، ففي قول الله ﷻ :
(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)) (٧)، فقد قدموا التوسل بالإيمان على طلب المغفرة والرحمة.
ومثله قول الله ﷻ في وصف المتقين (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)) (٨)

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٧)

(٢) ينظر: الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (وسل) (١٣٧/٥).

(٣) أخرجه البخاري من حديث جابر (٢٩٩/٢) كتاب الأذان، باب: الدعاء عند النداء حديث (٦١٤).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٤٨/١٣)، ولسان العرب، وأساس البلاغة، وترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، للطاهر أحمد الزاوي، عيسى الحلبي، ط (٢)، ١٩٧٣م (وسل).

(٥) البيت من الطويل، وهو للبيد في ديوانه ص (٢٥٦)، وتهذيب اللغة (٦٧/١٣)، ومقاييس اللغة (١١٠/٦)، ومجمل اللغة (٥٢٥/٤)، وأساس البلاغة (وسل) ص (٦٧٥)، وتاج العروس (وسل) (٧٥/٣١).

(٦) ابن تيمية، قاعدة حليّة في التوسل والوسيلة، ص (٩)، هامش (١٠، ١١، ٢٠-٥٦، ٦٠)، والقول المبين، ص (٣٤-٣٨).

(٧) الإسراء الآية (٥٧).

(٨) آل عمران الآية (١٦)

والدليل علي ذلك من السنة حديث الغار عن بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطر فأووا إلى غار، فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه.. فقال واحد منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أرز، فذهب وتركه وإني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، فصار من أمره أبي اشتريت منه بقرا وأنه أتاني يطلب أجره فقلت: اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرز فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرق، فساقتها فإن كنت تعلم أبي فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساحت عنهم الصخرة فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأت عليهما ليلة، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع، فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبوي، فكرهت أن أو قظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أبي فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء. فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلي، وأبي راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرت، فأتيها بها، فدفعتها إليها فأمكنني من نفسها، فلما قعدت بين رجلها، فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقامت وتركت المائة دينار فإن كنت تعلم أبي فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، ففرج الله عنهم فخرجوا"^(١).

ففي هذا الحديث دليل على جواز التوسل بالعمل الصالح، حيث أقر الرسول ﷺ ذلك وذكره في معرض الشاء.

قال النووي (رحمه الله): (استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله، ويتوسل إلى الله تعالى به؛ لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الشاء عليهم بجميل فضائلهم)^(٢).

هذا عن التوسل بصالح العمل، أما عن التوسل بدعاء الرسول ﷺ وشفاعته، فيدل عليه قول الله ﷻ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤))^(٣)

وفي الحديث الصحيح عن انس ؓ " أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر،

(١) أخرجه البخاري (٤١٨/١٠) في كتاب الأدب، باب: إجابة دعاء من بر والديه (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٠٩٩/٤)، كتاب الذكر

والدعاء، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة (١٠٠ - ٢٧٤٣).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٥٦/١٧).

(٣) سورة النساء، الآية (٦٤)

ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي وانقطع السبل فادع الله أن يغيثنا.. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحابة ولا قرعة ولا شيئا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس.. فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: ولا والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسخها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حولينا ولا علينا.. اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر، قال: فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس^(١).

فقد أقر النبي ﷺ هذا الأعراي على التوسل به، وسعى في تحقيق ما توسل إليه، ولم يصدر عنه ما يشير إلى أن الدعاء الصادر من الشخص لنفسه أولى من دعاء غيره له بناء على طلبه، بل قد دل بإقراره ﷺ واستجابته على أن طلب الدعاء من الغير أرجى للإجابة إذا كان من أهل التقى والصلاح، وذلك بشرط أن يكون في حياته.

هذا عن التوسل بدعاء النبي ﷺ، أما التوسل بدعاء غيره ﷺ فقد سنه لنا كذلك حينما قال لعمر وقد استأذنه في العمرة فأذن له: "لا تنسنا يا أخي من دعائك"، وسنه لعمر ولغيره تبعا له^(٢).

وكذلك روي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم"^(٣).

وقد طلب عمر منه أن يستغفر له، فدل ذلك على جواز التوسل بدعاء المسلمين، ولو كان الداعي أقل درجة من المدعو له.

هذه صور التوسل الجائزة التي لا يمانع فيها أحد من العلماء، وإلا صادمته النصوص وألزمته معارضة الحق إن أصر على المخالفة.

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (ويراد بالتوسل معنى ثالث لم ترد به سنة، وهو الإقسام على الله بذات الرسول ﷺ والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة تفعله، لا في الاستسقاء ولا في غيره، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره. ولا يعرف هذا في

(١) أخرجه البخاري (٥٠٨/٢) كتاب الاستسقاء، باب: الاستسقاء على المنبر، الحديث (١٠١٥)، ومسلم (٦١٢/٢) كتاب الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء، الحديث (٨٩٧/٨)، ومالك (١٩١/١) كتاب الاستسقاء، باب: ما جاء في الاستسقاء، الحديث (٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/١) (١٩٥)، وأبو داود (١٤٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٤)، والترمذي (٣٥٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٩٦٨/٤) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني (٢٢٣ - ٢٥٤٢).

شيء من الأدعية المشهورة بينهم^(١).

ولذلك فهم النبي ﷺ عن الحلف بغير الله، وعن الحلف بالمخلوقات، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: "ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت"^(٢)، وقال ﷺ: "من حلف فقال في حلفه: (باللات والعزى)، فليقل: لا إله إلا الله"^(٣)، وقال أيضا ﷺ: "من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال"^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (وأصل هذا الباب أن يقال الإقسام على الله تعالى بشيء من المخلوقات، إما أن يكون مأمورا به إيجابا أو استحبابا، أو منهيا عنه، أو مباحا إن قيل هو مأمور به أو مباح، فإما أن يفرق بين مخلوق ومخلوق أو يقال بل يشرع بالمخلوقات المعظمة أو ببعضها فمن قال إنه مأمور به أو مباح في المخلوقات جميعها لزم أن يقسم على الله بشياطين الإنس والجن، ولا قائل به من المسلمين)^(٥).

ولا ريب أن الأنبياء والصالحين لهم الجاه عند الله، لكن الذين لهم عند الله من الجاه والمنازل والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ونحن ننتفع من ذلك بإتباعنا لهم ومحبتنا، فإذا توسلنا إلى الله بإيماننا بنبية ﷺ ومحبه وطاعته وإتباع سنته كان هذا من أعظم الوسائل، وأما التوسل بنفس ذاته مع عدم التوسل بالإيمان به وطاعته، فلا يكون وسيلة، فالتوسل بالمخلوق إذا لم يتوسل بما مر من التوسل به من الدعاء للمتوسل ومحبه وإتباعه، فبأي شيء يتوسل به الإنسان إذا توسل إلى غير بوسيلة، فإما أن يطلب من الوسيلة الشفاعة له عند ذلك، مثل أن يقول لأبي الرجل أو صديقه أو من يكرم عليه: اشفع لنا عند فلان، وهذا جائز، وإما أن يقسم عليه لا يجوز الإقسام بالمخلوق، كما أنه لا يجوز أن يقسم على الله بالمخلوقين، فالتوسل إلى الله بذات خلقه بدعة مكروهة، لم يفعلها السلف من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان)^(٦).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠١/١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٨/١) كتاب الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم (٦٦٤٦)، ومسلم (١٢٦٧/٢) كتاب الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٦٤٦/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٦/١) كتاب الأيمان، باب: لا يحلف باللات (٦٦٥٠)، ومسلم (٢٦٧/٣)، كتاب الأيمان، باب: من حلف باللات (١٦٤٧/٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٢٥/٣) كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بالبراءة، وبملة غير الإسلام رقم (٣٢٥٨)، والنسائي (٦/٧) كتاب الأيمان والنذور، باب: الحلف بالبراءة من الإسلام رقم (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٦٧٩/١) كتاب الكفارات، باب: من حلف بملة غير الإسلام، رقم (٢١٠٠)، من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: "من حلف فقال: إني بريء من الإسلام فإن كان كاذبا فهو كما قال، وإن كان صادقا فلن يرجع إلى الإسلام سالما".

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨٩/١).

(٦) الدرر السنية في الأحوية التجديدة، (٢٣/٩).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: لمن سأله عن التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء والمرسلين (وأما التوسل بجاه المخلوقين كمن يقول: اللهم إني أسألك بنبيك محمد ﷺ ونحو ذلك بعد موتهم، فهذا لم ينقل عن النبي ﷺ، وأكثر العلماء على النهي عنه، وحكى ابن القيم رحمه الله تعالى أنه بدعة إجماعاً. ولو كان الأنبياء والصالحون لهم جاه عند الله سبحانه وتعالى فلا يقتضي ذلك جواز التوسل بذواتهم وجاههم؛ لأن الذين لهم من الجاه والدرجات أمر يعود نفعه إليهم، ولا ننتفع من ذلك بشيء إلا باتباعنا لهم ومحبتنا لهم)^(١).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: مبيناً أن سؤال الله بالرجل الصالح لا دليل علي جوازه من الشرع: (ولو جاز سؤال الله بالرجل الصالح، لما ترك الصحابة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته، كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته إذا قحطوا).

وثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج بالعباس بن عبد المطلب عام الرمادة بمحضر من السابقين الأولين يستسقون، فقال عمر: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنينا فنتسقين، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا، ثم قال: ارفع يديك يا عباس، فرفع يده يسأل الله تعالى، ولم يسأله بجاه النبي ﷺ ولا بغيره، ولو كان هذا التوسل حقاً، كانوا إليه أسبق، وعليه أحرص)^(٢).

ومع سطوع ما سبق من الأدلة وأقوال العلماء الأثبات في حقيقة التوسل إلا أننا نجد الإخوان المسلمين يصرون علي جانب المخالفة والاستكبار في المسألة وإيثار جانب الفهم الأعوج يتابع بعض الأدلة التي لا تسمن ولا تغني من جوع في المسألة والتي إن دلت فإنما تدل علي عمي القوم في الجانب العقدي والفقهية وافتقارهم لأبسط أدوات التحقيق العلمي والله المستعان.

الدليل الأول :-

قول الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٣٥) ^(٣).

تفنيده والرد عليه:-

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين: (الوسيلة هي القربة، والتوسل إلى الله التقرب إليه بطاعته، وإتباع رسوله، والافتداء به، وهذه هي الوسيلة المأمور بها في قوله سبحانه: (وابتغوا إليه الوسيلة) ومن الوسيلة دعاؤه لهم ﷺ وطلبهم ذلك منه في حياته، كما كانوا يطلبون منه أن

(١) السابق نفسه.

(٢) السابق، (١١٣/٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣٥)

يدعو لهم ويستسقي لهم كقول عمر: اللهم كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، فهذا من الوسيلة المأمور بها^(١).

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: (إن الوسيلة في شرع الله الذي شرعه على ألسن جميع رسله هي عبادته وحده لا شريك له، والإيمان به، وبرسله، والأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها)^(٢).

الدليل الثاني :-

قول الله U (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤))^(٣).

تفنيده والرد عليه:-

قال القصيمي: (وهي واقعة معينة لا تفيد العموم بمعناها ولا لفظها، وقعت في حياته R، فمن أين أخذت التعميم في الحياة والممات مع أن لفظها لا يفيد، ومعناها لا يريده، وأما كون الوقائع المعينة تكون عامة لغير صاحب الواقعة فمن أدلة أخرى دلت عليه)^(٤).

الدليل الثالث :-

حديث عمر بن الخطاب t مرفوعا "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم! وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه؟ قال يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحي رفعت رأسي، فرأيت علي قوائم العرش مكتوبا: لا اله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت انك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك"^(٥).

تفنيده والرد عليه:-

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: (فأما حديث توسل آدم بحق محمد، فالجواب أن هذا الحديث ساقط؛ لأن عبد الرحمن ابن يزيد ضعيف بالاتفاق؛ ضعفه مالك، وأحمد، وابن معين، وابن المديني، وأبو زرعة، وأبو داود، وابن سعد، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبان.

(١) تأسيس التقديس، ص (١٠٧).

(٢) دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ، ص (٨٩).

(٣) سورة النساء، الآية (٦٤)

(٤) البروق النجدية، ص (٣٧).

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٦١٥/٢) من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري : حدثنا إسماعيل بن مسلمة: أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر. وقال : " صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب".

قال ابن الجوزي (رحمه الله): أجمعوا على ضعفه، فهذا كما ترى تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو هو.

وقال الحافظ الذهبي (رحمه الله): في (تلخيص المستدرک) لما ذكر الحاكم هذا الحديث فقال: هذا صحيح، وقال أيضاً (رحمه الله): (أظنه موضوعاً ثم هو مخالف للقرآن؛ لأن الله U ذكر قصة آدم عليه السلام، وتوبته وتوسله، ولم يذكر الله أنه توسل بالنبي ٣)(١). ويشهد لهذا ما يروى أن داود قال: اللهم إني أسألك بحق آبائي عليك، فأوحى الله إليه: (أي حق لآبائك علي) أو نحو هذا(٢).

الدليل الرابع :-

حديث طيا عباد الله أعينوني"(٣)، وحديث "يا عباد الله احبسوا"(٤).

تفنيده والرد عليه:-

قال الشيخ محمد بن ناصر الحازمي: (والحديثان لا يصحان. أما الأول: فرواه الطبراني في الكبير بإسناد منقطع. والثاني: ففي إسناده معروف بن حسان، قال ابن عدي: منكر الحديث)(٥).

الدليل الخامس:

حديث الضرير وفيه: " أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ٣ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك، فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم فشفعه في (وشفعني فيه)، قال: ففعل الرجل فبرأ"(٦).

(١) الدرر السنية، (٢٣٣/٩).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وعزاه لأبي نعيم في التوسل والوسيلة، (١٤٥).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، (١٣٢/١٠)، وضعفه.

(٤) أخرجه ابن السنن في عمل اليوم والليلة (٥١٠)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٥٢٦٩). ووقع عندهم: «سيحبه». وضعفه الألبان في الضعيفة (٦٥٥)، وقال المناوي في فيض القدير (٥٩٤/٢): قال ابن حجر: حديث غريب ومعلوم قالوا: منكر الحديث وقد تفرد به وفيه انقطاع أيضاً بين أبي بريدة وابن مسعود، وقال الهيثمي فيه معروف بن حسان ضعيف.

(٥) إيقاظ الوسنان ق ٢٤، وانظر: ما كتبه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ حول هذا الحديث في (تيسير الحميد)، ص (٢٤٧).

(٦) أخرجه في المسند (١٣٨/٤) ورواه الترمذي (٢٨١/٤ - ٢٨٢ بشرح التحفة) وابن ماجه (٤١٨/١) والطبراني في الكبير (٢/٢٣) والحاكم (٣١٣/١) كلهم من طريق عثمان بن عمر (شيخ أحمد في): أن شعبة عن أبي جعفر المدني قال: سمعت عمارة بن خزيمة يحدث عن عثمان بن عمار قال الترمذي، (حسن صحيح غريب) وفي ابن ماجه عقبه: (قال أبو إسحاق: حديث صحيح) ثم رواه أحمد: ثنا شعبة به وفيه الرواية الأخرى وتابعه محمد بن جعفر ثنا شعبة به. رواه الحاكم (٥١٩/١) وقال: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وقد أعله بعضهم كصاحب (صيانة الإنسان) وصاحب (تطهير الجنان ص ٣٧) وغيرهما بأن في إسناده أبا جعفر قال الترمذي: (لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي) فقالوا: هو إذن الرازي وهو صدوق ولكنه سيء الحفظ، قلت: ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه. وهكذا نسبه أحمد في=

تفنيده والرد عليه:

قال الشيخ أحمد بن عيسى: (قد قرر جمع من العلماء ما قرره شيخ الإسلام في معنى حديث الأعمى، وبينوا أنه ليس فيه إلا طلب الدعاء من النبي ٣، وأنه لا دلالة فيه على التوسل بالذات، كالسويدي وابنه، والشيخ نعمان بن محمود أفندي الآلوسي)^(١).

الدليل السادس:-

حديث فاطمة بنت أسيد عن أنس بن مالك قال: (لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي رضي الله عنهما دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر ابن الخطاب وغلما أسود يحفرون، فلما فرغ دخل رسول الله ٣ فاضطجع فيه فقال: "الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع مدخلها بحق نبيك، والأنبياء الذين من قبله فإنك أرحم الراحمين")^(٢).

تفنيده والرد عليه:-

قال الذهبي (رحمه الله): (روح بن صلاح المصري يقال له: ابن سبابة ضعفه ابن عدي، يكنى أبا الحارث؛ وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم: ثقة مأمون)^(٣)، وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه؛ فإنه داخل في القسم المتسمح، كما قال السخاوي)^(٤).

الدليل السابع:-

(حديث بحق السائلين)، عن أبي سعيد الخدري (مرفوعاً):

"من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق

=رواية له (١٣٨/٤) وسماه في أخرى: (أبا جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم والخطمي هذا لا الرازي هو المدني وقد ورد هكذا في (المعجم الصغير) للطبراني وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضا. ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن حزيمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا وهو صدوق وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه.

(١) الرد على شبهات المستعنيين بغير الله، ص (٥٥).

(٣) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد)، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف وبقيته رجاله رجال الصحيح، قلت: ومن طريق الطبراني رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء) وإسناده عندهما ضيف لأن روح بن صلاح الذي في إسناده قد تفرد به كما قال أبو نعيم نفسه وروح ضعفه ابن عدي. وقال ابن يونس: رويت عنه منكرات وقال الدارقطني: (ضعيف في الحديث) وقال ابن ماكولا: (ضعفه) وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: (له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة) فقد اتفقوا على تضعيفه فكان حديثه منكرا لتفرد به، وقد ذهب بعضهم إلى تقوية هذا الحديث = لتوثيق ابن حبان والحاكم لروح هذا ولكن ذلك لا ينفعهم لما عرفوا به من التساهل في التوثيق فقولهما عند التعارض لا يقام له وزن حتى لو كان الجرح مبهما فكيف مع بيانه كما هي الحال.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال (٨٧/٣)، الضعفاء والمتروكين (٢٨٧/١)، والجرح والتعديل (٢٢٢/٤)، معرفة الثقات (٤٠٧/١)، الثقات (٤٠١/٦)، تهذيب الكمال (١٥٤/١١)، التهذيب (٩٩/٤)، التقريب، ص (٢٤٤).

(٤) صيانة الإنسان، ص (١٢٩).

ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا أقبل الله عليه بوجهه" (١)

تفنيده والرد عليه:

قال السهسواني: (في سنده عطية العوفي فإن جارحيه أكثر من معدليه، ووجه ضعفه كونه شيعياً مدلساً، وكذا عدم الضبط وكثرة الخطأ، كما أن في سنده فضيل بن مرزوق، وهو ممن اختلف فيه، وكذا في سنده الفضل بن موفق أبو الجهم؛ ضعفه أبو حاتم، والأشبه أن هذا الحديث موقوف كما قال أبو حاتم) (٢).

وهذا فيض من غيظ في الرد عليهم وإلا لولا اعتقاد الناس فيهم الصلاح لما كلفنا أنفسنا الرد عليهم وبذل أوقاتنا في محاجتهم مع قناعتنا أن ثمة مجالات شرعية أخرى أهم لبذل الوقت وإعمال الفكر ولكنها الحاجة التي ألجأتنا للرد علي أمثال هؤلاء صيانة لعقيدتنا وحفظاً لشريعتنا مما ادخلوه عليها من الغبار .

وقد وجه صاحب كتاب (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) الشيخ محمد ابن سيف العجمي رسالة إلى الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، يسأله فيها عن التوسل وحكمه،

فأجاب الشيخ الفوزان بجواب مقنع قال فيه ما نصه: (وصلتني رسالتكم التي طلبتم فيها الإجابة عن أسئلة في العقيدة، وهي أولاً: هل التوسل بالمخلوقين أو حقهم أو جاههم، يعتبر أمراً مبتدعاً ووسيلة من وسائل الشرك. والخلاف فيه يعتبر خلافاً في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع؛ لأن الدعاء أعظم أنواع العبادة، ولا يجوز فيه إلا ما ورد في الكتاب والسنة، ولم يرد في الكتاب والسنة السؤال بالمخلوقين أو حقهم أو جاههم، وإنما ورد الأمر بدعاء الله مباشرة من غير توسط بأحد من خلقه، قال الله U (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (٣)، وقال الله U (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٤)، وقال الله U (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه وانظر تحريجه مفصلاً في (سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٤) وإسناده ضعيف لأنه من رواية عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري وعطية، كما قال النووي في (الأذكار) وابن تيمية في (القاعدة الجلية)، والذهبي في (الميزان) بل قال في (الضعفاء): (يجمع على ضعفه)، والحافظ الهيثمي في غير موضع من (مجمع الزوائد) منها وأورده أبو بكر بن الحب البعلبكي في (الضعفاء والمتروكين) والبوصيري كما يأتي وكذا الحافظ ابن حجر يقول فيه: (صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً)

(٢) صيانة الإنسان، ص (١٢٤-١٢٦) باختصار.

(٣) سورة غافر، الآية (٦٠)

(٤) السابق، الآية (١٤)

عَمَّا يُشْرِكُونَ^(١)، ولما كان الدعاء أعظم أنواع العبادة، والعبادة توقيفية، فإنه لا يجوز أن يدعى الله سبحانه وتعالى إلا بالكيفية الواردة في الكتاب والسنة، وليس في تلك الكيفية التوسل بالمخلوقين أو حقهم أو جاههم في الدعاء فيكون بدعة، وكل بدعة ضلالة، والله أعلم).

ثم أنظر إلى محمد سعيد رمضان البوطي كيف يحمل على السلفيين، ويصفهم بأنهم ضلوا فإن أفندتهم لم تستشعر حب رسول الله ﷺ، عند تأييده ودعوته الناس أن يتوسلوا بحاجه المصطفى ﷺ، فقال وهو يخلط خلطا كبيرا بين التوسل والتبرك: (وإذا علمت أن التبرك بالشيء إنما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته، علمت أن التوسل بآثار النبي ﷺ أمر مندوب إليه ومشروع، فضلا عن التوسل بذاته الشريفة، وليس ثمة فرق بين أن يكون ذلك في حياته ﷺ أو بعد وفاته، فآثار النبي ﷺ وفضائله لا تتصف بالحياة مطلقا، سواء تعلق التبرك والتوسل بها في حياته أو بعد وفاته، ولقد توسل الصحابة بشعرائه من بعد وفاته؛ كما ثبت ذلك في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله ﷺ، ومع ذلك فقد ضل أقوام لم تشعر أفندتهم بحجة رسول الله ﷺ، وراحوا يستنكرون التوسل بذاته ﷺ بحجة أن تأثير النبي ﷺ قد انقطع بوفاته^(٢)).

قال الشيخ المحدث الألباني في رده على ما كتبه البوطي: (إنه قد خلط في كلامه السابق بين الحق والباطل خلطا عجيبا، فاستدل بحقه على باطله، فوصل من جراء ذلك إلى رأي لم يسبقه إليه أحد من العالمين. وإذا أردنا أن نميز بين نوعي كلامه، فإننا نقول إن الحق الذي تضمنه هو:

- ١ - أن النبي ﷺ قريب إلى الله ﷻ، وأنه رحمة من الله ﷻ للخلق.
 - ٢ - أنه لا تأثير لأحد حتى للنبي ﷺ تأثيرا ذاتيا في الأشياء، وإنما التأثير كله لله الواحد الأحد.
 - ٣ - أنه يشرع التبرك بآثار النبي ﷺ، وأن الصحابة فعلوا ذلك في حياته ﷺ وبقائه منه.
- هذه النقاط الثلاثة صحيحة لا خلاف فيها، ولو وقف الكاتب عندها لما كان ثمة حاجة للتعليق عليه، وأما الباطل الذي تضمنه كلامه وفيه الخلاف العريض فهو:-

- ١ - أن التوسل بآثار النبي ﷺ جائز، وأن الصحابة كانوا يتوسلون بآثاره ﷺ وفضائله.
- ٢ - تسويته بين التبرك والتوسل.
- ٣ - أن التوسل بذاته ﷺ جائز، كجواز التبرك بفضائله.
- ٤ - أن مناط التوسل به ﷺ، هو كونه أفضل الخلائق عند الله ﷻ على الإطلاق.
- ٥ - جهله بمعنى كلمة الاستشفاع، مما حمله على الاستدلال بها على التوسل المبتدع.

(١) سورة يونس، الآية (١٨)

(٢) ينظر: فقه السيرة، للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، ص (٣٢٦).

٦- افتراؤه على السلفيين بأنهم يرون أن النبي ﷺ كان له تأثير ذاتي في الأشياء خلال حياته، وقد انقطع ذلك التأثير بوفاته، وأن هذا هو سبب إنكارهم التوسل به ﷺ بعد وفاته.

٧- ادعائه أن الأعمى توسل بقربه ﷺ من ربه.

٨- ادعائه أن محمداً ﷺ أفضل الخلائق على الإطلاق^(١).

ومن المعلوم أن الشيخ البوطي من المتأثرين بمدرسة الإخوان المسلمين كما ذكر هو نفسه في بعض كتبه وإن كان اليوم من الذين لا يتقيدون بالتنظيم العالمي للإخوان ولهذا اخترته كنموذج يوحى بمدى العداوة الشديدة التي يكنها لمن أنكر التوسل البدعي.

وعلى درب الشيخ البوطي، سار أحد كبار رجال الإخوان المسلمين في سوريا، وهو الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الذي عرف بتعظيمه للمبتدعة، وخاصة لشيخه زاهد الكوثري لدرجة أنه سمي ابنه زاهداً؛ تكريماً له، ولا يخفى على ذي لب من المنصفين الباحثين عن الحق، أن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قام بجملات شرسة على السلفيين لاسيما في بلده حلب حين كان يخطب على منبر مسجده يوم الجمعة، ويشغله للطعن في أهل التوحيد المعروفين في بلده بالسلفيين خاصة، وفي أهل التوحيد السعوديين وغيرهم الذين يبرزهم بلقب (الوهابية) عامة، ويعلن عداؤه الشديد لهم ويصرح بتضليلهم بقوله: (إن الاستغاثة بالموتى من دون الله تعالى، وطلب الغوث منهم جائز وليس شركاً، ومن زعم أنها شرك أو كفر فهو كافر)^(٢).

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات

بين السياسة الشرعية وسياسة الإخوان:-

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات في عقيدة أهل السنة والجماعة:-

إن توحيد الأسماء والصفات يعد ركناً ركينا ومعلماً أساسياً من معالم التوحيد المبني عليها، وهو من أجل المعارف وأشرفها، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة، فإن أسمائه أوصاف مدح وكمال، وكل صفة لها مقتضى وفعل: إما لازم، وإما متعدي، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها^(٣).

إن المفهوم العام لتوحيد الأسماء والصفات هو: اعتقاد انفراد الرب U بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بنعوت العظمة والجمال والجلال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبتته الله U لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات الواردة في

(١) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه، للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب شرح العقيدة الطحاوية بتعليق الشيخ الألباني وتحقيقه، والأضواء السلفية على الجماعة الإخوانية، ص(٦٥).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية دار الحديث، طبعة أولى، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (٤٥٠/١).

الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ٣ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله^(١).

وقد عرف العلماء توحيد الأسماء والصفات بأنه: (الاعتقاد الجازم بأن الله U متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات)^(٢).
وتوحيد الأسماء والصفات يعتمد على أسس ثلاثة، وهي:

أولاً:- أن أسماء الله تعالى وصفاته كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو النفي إلا بإذن من الشرع، فلا نثبت لله U من الأسماء والصفات إلا ما أثبتته هو لنفسه أو أثبتته له رسوله ٣ ولا ننفي عنه من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ٣، وما لم يصرح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب الوقف فيه حتى يعلم المراد به، فإن أريد به معنى صحيح موافق لما جاء به النص قبل وإلا وجب رده.

ثانياً:- أن الله U في كل ما له من أسماء وصفات لا يماثل شيئاً من خلقه، ولا يماثله شيء بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به لا يشاركه فيه أحد من خلقه، وليس معنى ذلك أن ما يطلق على الرب من أسماء لا يسمى به غيره، فقد يكون الاسم مشتركاً بينه وبين غيره أو بين صفته وصفة غيره، ولكن هذا الاشتراك في الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء.

فتسمية الله U عالماً، وتسمية العبد عالماً لا يوجب مماثلة علم العبد لعلم الله U .

ثالثاً:- أن صفات الله U كلها صفات كمال، والواجب أن يثبت له سبحانه أقصى ما يمكن من الكمال بحيث لا يكون هناك كمال عار عن النقص إلا وهو ثابت له يستحقه بكمال ذاته، ويتنزه عن الاتصاف بضده، فكل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه^(٣).

والناظر إلى آيات القرآن الكريم يجد أنها تؤكد على وحدة الأسماء والصفات لله تعالى والإحاطة الشاملة للكون الفسيح؛ من خلق وإبداع وقدرة وإحياء وإماتة إلى غير ذلك من صفات الكمال المطلق لله U، فله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلى، ومن هذه الآيات:-

(١) كتاب التوحيد، ص (١٢، ١٣).

(٢) الإيمان، أركانه حقيقته نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، ص (١٥).

(٣) دعوة التوحيد، أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاة، ص (١٥، ١٦، ١٨)، بتصرف، وانظر: مع الله في أسمائه الحسنى وصفاته العلى، أ. عبد الرازق نوفل، ص (١٩) المكتب الثقافي العربي بالقاهرة سنة ١٣٩٧.

قول الله U (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤))^(١)

وقول الله U (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)^(٢).

وهذا النوع من التوحيد له أهمية عظيمة، فلا تكتمل عبادة الإنسان حتى يكون على علم بأسماء الله U وصفاته التي سمي بها ذاته ووصف بها نفسه وأخبر بها نبيه محمد ﷺ؛ لتكون عبادته لله على علم، فالواجب على المسلم أن يؤمن بصفات الله U دون زيادة أو نقصان، وأن ينزهه U عن المثلية ومشابهة خلقه في الصفات، وعن كل نقص لا يليق بذاته المقدسة.

وقد احتلت أسماء الله U وصفاته مساحات ليست بالقليلة من السنة النبوية المطهرة. روى أبو هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر ويحب الوتر)^(٣).

في هذا الحديث أثبت الرسول ﷺ أن الله U له تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحدا، ثم يبين فضلها فيقول: (من أحصاها) أي: علمها عددا وحفظها وآمن بها وأقر واعتقد بوحداية من اتصف بها، دخل الجنة.

وطريقة السلف الصالح من هذه الأمة في فهم هذا النوع من التوحيد أنهم يشبتون لله U ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تكليف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل. وكذلك ينفون عنه ما نفاه سبحانه عن نفسه من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته^(٤) فالله U قد ذم الذين يلحدون في أسمائه فقال:

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٥).

كما ذم الله U الذين يلحدون في آياته فقال:

(١) سورة الحشر، الآيتان (٢٣، ٢٤).

(٢) سورة يونس، الآية (٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٧/٥): كتاب (الشروط): باب (ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار...) رقم (٢٧٣٦)، وطرفاه في (١٠٦٤١٠ ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٠٦٣/٤) كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) رقم (٢٦٧٧/٦، ٥).

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص (٦، ١٠) ومعارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكيم، ومدارج السالكين لابن القيم (٣٧/١).

(٥) سورة الاعراف، الآية (١٨٠).

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(١)، فهذا المنهج تضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، قال الله U (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(٢) فهذا مبطل لمنهج أهل التمثيل.

قال الله U (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٣) فهذا مثبت لأسماء الله وصفاته ومبطل لمنهج أهل التعطيل^(٤).

ولقد ضل بعض الخلق في تناولها، فذهب بعضهم إلى التجسيم، فجعلوا لله جسداً كجسد البشر، تعالى الله عن ذلك الكفر، وكان (أول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضي)^(٥).

ولو أنهم التزموا منهج النبي ﷺ والأصحاب والتابعين في النظر إلى الأسماء والصفات، لأراحوا واستراحوا، ولكن ما كان كان، وبإلته ما كان^(٦).

وهكذا كانت عقيدة الأئمة مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وسلف الأمة في أسماء الله U وصفاته: إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث)^(٧).

فيجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ، وكذلك يجب نفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ، ففي النفي والإثبات لا بد من الالتزام بالنص الثابت الصحيح، فلا ينفي عن الله U شيء أو يثبت له شيء بمجرد الرأي والهوى، وإنما يدور النفي والإثبات على ما وردت به النصوص.

وطريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبتته الله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وعلى درب هؤلاء سار شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وأبان عن طريقة السلف بقوله: فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه،

(١) سورة فصلت، الآية (٤٠).

(٢) سورة الشورى، الآية (١١).

(٣) سبق.

(٤) تقريب التدمرية لابن تيمية، تحقيق الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ص (١٩).

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن النجدي، مكتبة ابن تيمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م، (١٨٦/٣).

(٦) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م (١٤/٢).

(٧) التبيينات السننية، ص (١٩).

وتنزيها بلا تعطيل^(١)

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (فما سكت عنه الشرع نفيا وإثباتا ولم يكن في العقل ما يثبت ولا ينفيه سكتنا عنه. ونثبت ما علمنا ثبوته من ذلك وننفي ما علمنا نفيه)^(٢).

والقرآن الكريم قد راعى في الإثبات والنفي معنى الكمال والنقص ولم يراع معاني التركيب والحركة والحيز والجهة التي تحدث عنها المتكلمون. فهو سبحانه موصوف بكل صفات الكمال الواردة في القرآن، وليس في وصفه بشيء منها ما يوجب الجسمية ولا الحيز ولا الجهة ولا التركيب، بل هذه المعاني والألفاظ مأخوذة من قياس الغائب على الشاهد ومن هنا فهي معان خاطئة، وتنزيه الله U يجب أن يكون بالنقل لا بالعقل، وقد بنى سلف الأمة ذلك على أن الذات الإلهية لا سبيل إلى معرفتها بالكنه والحقيقة وجميع المتكلمين متفقون على ذلك، وكذلك أساطين الفلاسفة معترفون بأنه لا سبيل للعقل إلى اليقين في الإلهيات^(٣).

وإذا كان الأمر كذلك فالسبيل الوحيد لتنزيه الله تعالى هو النقل؛ لأنه لا يعلم الكمال والنقص بالنسبة لله إلا عن طريق ما ورد عن الله أو عن طريق رسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: تناقضات الإخوان في توحيد الأسماء والصفات والرد عليها: -

تتسم عقيدة (الإخوان المسلمين) في توحيد الأسماء والصفات بالاضطراب وعدم الاستقرار، فإذا نظرنا إلى ما كتبه الإخوان في هذا المجال وجدنا كثيرا من التناقضات التي تعج بها مؤلفاتهم وكتبهم مما تقشعر منه الأبدان .

قال حسن البنا: (ومعرفة الله U وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما لحق بذلك من التشابه تؤمن به كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء، ويسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه)^(٤).
وقال أيضا: (كذلك استواءه على العرش من التشابه الذي نقف عنده؛ مؤمنين به دون تعد لحدود إدراكنا، كما ذكرت)^(٥).

وقال سيد قطب: (والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء)^(٦).
وإدخال آيات الصفات في جملة التشابه مخالفة لاعتقاد أهل السنة والجماعة.

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية، ص(٧).

(٢) الرسالة التدمرية، ص (٨٥).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠/٥).

(٤) شرح الأصول العشرين، ص (٣٩).

(٥) تفسير سورة السجدة، من منشورات حركة الإخوان المسلمين في الأردن، ص(٤)، وشرح الأصول العشرين، ص(٣٩).

(٦) ينظر: في ظلال القرآن (٢٣٢٨/٤).

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): (وأما إدخال أسماء الله وصفاته -أو بعض ذلك- في التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقاد أن ذلك هو التشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله؛ كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم؛ فالكلام على هذا من وجهين:

الوجه الأول: من قال: إن هذا من التشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك؛ فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا الأئمة؛ لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من التشابه الداخل في الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية، وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه. ونصوص أحمد والأئمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغير ذلك، وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات: تمر كما جاءت، وفي أحاديث الوعيد مثل (من غشنا فليس منا) وأحاديث الفضائل، ومقصوده بذلك: أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه، ويسمي تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر.

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الأئمة تحريف باطل، وكذلك نص أحمد في كتاب (الرد على الزنادقة والجهمية) أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد على ذلك التشابه، وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله، فهذا اتفاق من الأئمة على أنهم يعلمون معنى هذا التشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة، من غير تحريف له عن مواضعه أو إلحاد في أسماء الله وصفاته.

الوجه الثاني: (أنه إذا قيل: هذه من التشابه، أو كان فيها ما هو من التشابه؛ كما نقل عن بعض الأئمة أنه سمى بعض ما استدلل به الجهمية متشابها، فيقال: الذي في القرآن أنه لا يعلم تأويله إلا الله؛ إما التشابه، وإما الكتاب كله كما تقدم ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه؛ كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة، وهذا الوجه قوي إن ثبت حديث ابن إسحاق في وفد نجران أنهم احتجوا على النبي ﷺ بقوله: (إنا) و(نحن) ونحو ذلك، ويؤيده أيضا أنه قد ثبت أن في القرآن متشابها وهو ما يحتمل معنيين، وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب؛ كما أن ذلك في مسائل المعاد أولى، فإن نفي المشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا. وإنما نكتة الجواب كما قدمناه أولا أن نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم المعنى، ونزيده

تقريراً: أن الله U يقول (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (١)، وقال تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٢)

فأخبر أنه أنزله ليعقلوه، وأنه طلب تذكيرهم وحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكير فيه ولم يستثن من ذلك شيئاً قال الله U (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (٣) وقال الله U (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (٤) ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر، وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها، ورووا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، ولو كان معاني هذه الآيات منفياً أو مسكوتاً عنه؛ لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه، ثم إن الصحابة نقلوا عن النبي ﷺ أنهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة، ولم يذكر أحد منهم عنه أنه امتنع من تفسير آية) (٥).

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية يتضح لنا أن أسماء الله وصفاته لا يصح أن يقال عنها إنها من المتشابه، ومن فعل ذلك فقد نحاً بنفسه إلى تأويلات الجهمية المحرفة المعطلة لأسماء الله وصفاته. المطلب الثالث: أخذ الإخوان بمذهب المفوضة في الصفات والرد عليهم:-

يعد حسن البنا مؤسس حركة الإخوان أول من قال بالتفويض منهم.

قال حسن البنا: (وإن البحث في مثل هذا الشأن لا يؤدي إلا إلى نتيجة واحدة وهي التفويض (٦) لله U) (٧).

وقال أيضاً: (ونرى أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله U أسلم وأولى بالإلتزام حسماً لمادة التأويل والتعطيل ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت

(١) سورة الزمر، الايتان (٢٧: ٢٨).

(٢) سورة يوسف، الآية (٢).

(٣) سورة محمد، الآية (٢٤).

(٤) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٥) ينظر: كتب وسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير (٣٠٨/١٣)، والإكليل في التشابه والتأويل، ص (٣٢-٥٠).

(٦) التفويض: مصدر، فوض إليه الأمر يفوضه بمعنى صيره إليه وجعله الحاكم فيه. ومنه قوله U حكاية عن مؤمن آل فرعون: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)) سورة غافر الآية ٤٤ ومن دعائه ٣: (وفوضت

أمري إليك) يعني: رددته إليك. أخرجه البخاري (١١٢/١١) كتاب الدعوات، باب: إذا بات طاهراً (٦٣١١)، ومسلم

(٢٠٨١/٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٥٦- ٢٧١٠).

(٧) رسالة العقائد ص (٧٤).

وتفويض علم هذه المعاني إلى الله ﷻ أسلم وأولى بالإتباع، حسما لمادة التأويل والتعطيل، فإن كنت ممن أسعده الله بطمأنينة الإيمان، وأثلج صدره ببرد اليقين، فلا تعدل به بديلا، ونعتقد إلى جانب هذا أن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق، ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله.

وقد لجأ أشد الناس تمسكا برأي السلف، رضوان الله عليهم، إلى التأويل في عدة مواطن، وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، من ذلك تأويله لحديث: "الحجر الأسود يمين الله في أرضه" وقوله ٣: "قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" وقوله ٣: "إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن".

وقد رأيت للإمام النووي رحمه الله ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدع مجالا للنزاع والجدال، ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلا وشرعا، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين، وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويل في الجملة، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز، فانحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما يجوز في الشرع، وهو هين كما ترى، وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، والله حسينا ونعم الوكيل^(١)، وقال أيضاً: (وإذا تقرر هذا فقد اتفق السلف والخلف على أصل التأويل)^(٢)

والناظر في مذهب سلف الأمة يجد أنهم لا يقولون بالتفويض بل يشبثون ما أثبتته الله لنفسه أو رسوله من غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف^(٣).

والذي يعن النظر في كلمات (حسن البنا) يلحظ أنه يؤمن بأن رأي السلف في الأسماء والصفات السكوت والتفويض وهذا محض افتراء.

وقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) حقيقة ذلك فقال^(٤): (وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا أن نتدبر القرآن، وحصنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله، وأيضا فالخطاب الذي أريد به هدايتنا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلى النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن

(١) مجموعة رسائل حسن البنا، ص (٤١٧)، رسالة العقائد، ص (٧٧، ٧٨).

(٢) رسالة العقائد، ص (٢٦).

(٣) البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، نبيل بن صالح بن مشرف، ص (١٢، ١٣).

(٤) ينظر: درء التعارض، (٢٠١/١-٢٠٥).

نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك؛ فعلى التقديرين لم نخاطب بما بين فيه من الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

والمؤمن يعلم بالاضطرار أن كلا القولين باطل، ولا بد للنفاة أهل التأويل من هذا أو هذا، وإذا كان كلاهما باطلا؛ كان تأويل النفاة للنصوص باطلا، فيكون نقيضه حقا؛ وهو إقرار الأدلة الشرعية على مدلولاتها، ومن خرج عن ذلك؛ لزمه من الفساد ما لا يقوله إلا أهل الإلحاد.

وما ذكرنا من لوازم قول أهل التفويض هو لازم لقولهم الظاهر المعروف بينهم، إذ قالوا: إن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشككة المتشابهة، ولكن لم يبين للناس مراده بها، ولا أوضحه إيضاها يقطع به النزاع^(١).

والتفويض معناه مجرد الإيمان بألفاظ آيات الصفات وأحاديثها من غير فقه لمعانيها ونسبته للسلف تقول وافتراء عليهم بلا علم ولا برهان، بل وحقيقته قدح في القرآن والأنبياء؛ فقد أنزل الله القرآن وجعله هدى وبيانا للناس وأمر بتدبره وفهم معانيه ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر به الرب عن أسمائه وصفاته؛ فكيف بعد هذا يقال لا يدري معناها؟! وفي هذا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة من شر أقوال أهل البدع والإلحاد)^(٢).

وقال العلامة ابن باز (رحمه الله): (ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات إلى علام الغيوب؛ لأن الله ﷻ بينها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني وليس التفويض مذهب السلف، بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح)^(٣).

وقال الشيخ محمد خليل هراس (رحمه الله): من الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم فإن السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعاني ولا كانوا يقرءون كلاما لا يفهمون معناه، بل كانوا يفهمون معاني نصوص الكتاب والسنة ويشتونها لله ﷻ ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفة أو كيفيتها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش: (الاستواء معلوم والكيف مجهول)^(٤).

قال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): (وبهذا نعرف ضلال أو كذب من قالوا: إن طريقة

(١) السابق.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، (٢٠٥/١).

(٣) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة، (٥٥/٣).

(٤) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، ص (٢٢).

السلف هي التفويض^(١).

وبما أن الشيء بالشيء يذكر نشير إلى أن التفويض قسمان: -

القسم الأول: - تفويض للكيفية.

القسم الثاني: - تفويض للمعنى.

١ - القسم الأول: تفويض للكيفية: -

وهو الذي ورد عن السلف فيمن قال منهم إنه يفوض، أو نفوض هذا، أو نكل علمه إلى قائله، أو نحو ذلك مما يفهم منه التفويض، فيراد به تفويض الكيفية؛ لأن الكيفية من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

قال الله U (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)^(٢)، وقال الله U (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)^(٣)، عند الوقف على لفظ الجلالة يدخل في التأويل ما تتول إليه حقائق الأخبار، ومنها العلم بالكيفيات.

فلا أحد يعلم كيفية اتصاف الرب بصفاته، ولا كيفية الغيبات على حقيقتها التي خلقها الله عليها؛ لأن هذا من علم الغيب الذي اختص الله به نفسه العلية.

فهذا القسم الأول هو تفويض الكيفية، وهذا نؤمن به، فنفوض كيفية الأمور الغيبية إلى الله تعالى ومن ذلك: صفات الرب، ونعوت جلاله ومعاني أسمائه، وما يتصل بذلك من أمور الغيب.

٢ - القسم الثاني: تفويض للمعنى:

وهو أن يقول: أنا أفوض العلم بالمعنى، أو أفوض المعنى، لا أدري ما معنى (الرحمن الرحيم)، لا أدري ما معنى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)^(٤)، لا أعلم معنى استوي، وأفوض معناها إلى الله، فالاستواء ربما

(١) العقيدة الواسطية ص (٩٢، ٩٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

يكون معناه القهر، ربما يكون معناه العلو، ربما يكون معناه الرحمة، ربما يكون معناه أي معنى، فيفوضون المعنى، فيقولون: لا نعلم معاني الغيبيات ولا أحد يعلمها.

وذهب إلى هذا المذهب قلة - يعني تفويض المعنى - من المتقدمين يعني في القرنين الثاني والثالث، وشاع عند طائفة من المتأخرين بسبب أنه قول للأشاعرة، فمذهب الأشاعرة في الصفات على قولين:-

القول الأول:- وهو الراجح عندهم والأقوى أن تؤول الصفات التي تتعارض مع الصفات السبع التي أثبتها وتتعارض مع العقل.

القول الثاني:- وهو صحيح عندهم؛ لكنه ليس بقول أهل العلم والحكمة هو تفويض المعنى. وهذا التفويض - تفويض المعنى - مبناه على قولنا: لا نعلم معنى الصفات، وهذا موجود عند الأشاعرة من بعد أبي الحسن الأشعري إلى وقتنا الحاضر، وهو أيضا الذي راج على جملة من الحنابلة في كتبهم.

وفهموا أيضا من قول الإمام أحمد وقول الشافعي ونحو ذلك: (لا كيف ولا معنى) - يعني في الصفات - مثل ما ساقها صاحب لمعة الاعتقاد، فهموا^(١) منه أنه التفويض، وفهموا أيضا من قول الشافعي^(٢): (نؤمن بما جاء عن الله على مراد الله، ونؤمن بما جاء عن رسول الله) أنه التفويض، ومن المعلوم أن تفويض المعنى غير جائز.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: (إن التفويض هو شر المذاهب)^(٣).

وذلك لأن تفويض المعنى يرجع إلى عدم العلم به، ولهذا وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية في أول درء التعارض: بأهل التجهيل، يعني الذين يقولون: إنه لا يوجد أحد يعلم معنى الصفات. ولا شك أن مذهب المفوضة هو شر المذاهب؛ لأنه يقتضي تجهيل الصحابة ؓ بل يقتضي أن في القرآن كلاما وآيات كثيرة لا أحد يعلم معناها.

وبناء على ذلك فإن القول بتفويض المعنى مخالف للكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة وصالحها فقائله متلبس ببدعة بعيد عن نهج الحق والصواب.

المطلب الرابع: أقوال إخوانية لا تليق بجلال الله وعزته والرد عليها:

الناظر في كتابات الإخوان وأقوالهم يدرك بوضوح مدى إحادهم في أسماء الله تعالى ووصفه بما لا يليق سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: لمعة الاعتقاد، (٩/١).

(٢) ينظر: لمعة الاعتقاد، (١٠/١)، وذم التأويل (١١/١).

(٣) ينظر: درء التعارض، (٢٠٥/١).

قال الإمام الرازي في تفسير قول الله U (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠))^(١).

الإلحاد في أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه:-

الوجه الأول: (إطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله، مثل: أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة، ومن ذلك أنهم سمو أصناما باللات والعزى ومناة، واشتقاق اللات من الإله، والعزى من العزيز، واشتقاق مناة من المنان، وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن).

الوجه الثاني: (أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به، مثل: تسمية من أسماء أبا للمسيح، وقول جمهور النصارى: أب، وابن، وروح القدس، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله U ويسمون به، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم: لو فعل تعالى كذا وكذا لكان سفيها مستحقا للذم، وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب).

الوجه الثالث:- (أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه، فإنه ربما كان مسماه أمرا غير لائق بجلال الله، فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء)^(٢).

أما أقوال الإخوان التي لا تليق بالخالق سبحانه وتعالى فأكثر من أن تحصي منها على سبيل المثال لا الحصر:

قول يوسف القرضاوي في إحدى خطب الجمعة: (قبل أن أدع مقامي هذا أحب أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية: العرب كانوا معلقين كل آمالهم على نجاح (بيريز) وقد سقط (بيريز) وهذا ما نحمد لإسرائيل، نتمنى أن تكون بلادنا مثل هذه البلاد، من أجل مجموعة قليلة يسقط واحد، والشعب هو الذي يحكم ليس هناك التسعات الأربع، أو التسعات الخمس التي نعرفها في بلادنا ٩٩.٩٩% ما هذا؟ إنه الكذب والغش ولو أن الله عرض نفسه على الناس ما أخذ هذه النسبة، نحبي إسرائيل على ما فعلت).

هذا المقال نشر في الصحف واستفتي فيه العلماء فمنهم من حكم أنه "ردة"، ومنهم من قال: "ضلال مبين"^(٣).

قال العلامة ابن عثيمين في هذا: (نعوذ بالله، يجب أن يتوب وإلا فهو مرتد؛ لأنه جعل المخلوق أعلى من الخالق، فعليه أن يتوب إلى الله، فإن تاب فإنه يقبل عنه ذلك، وإلا وجب على حكام المسلمين أن يضربوا عنقه)^(٤).

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للإمام الرازي، (٣٧٥/٧).

(٣) ينظر: البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٧١).

(٤) ينظر: رفع الثام، ص (٩٦).

ولم نسمع أحداً من علمائهم أو زعمائهم استنكر هذه المقالة أو رد عليها، إذا فهم يستخدمون الدين والفتاوى والبيانات ويكيّفونها لأغراض في أنفسهم ووفق أهوائهم.

وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء والإرشاد بأرض الحرمين^(١) بما يلي:
(لا يجوز للمسلم قننة النصارى بأعيادهم؛ لأن في ذلك تعاوناً على الإثم وقد نهينا عنه قال الله
U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٢)، كما أن فيه توددا إليهم، وطلباً لخبثهم،
وإشعارهم بالرضا عنهم وعن شعائرتهم، وهذا لا يجوز، بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيين
بغضهم؛ لأنهم يحادون الله U، ويشركون معه غيره، ويجعلون معه صاحبة وولدا.. إلخ.

قال الشيخ الفوزان: (من مظاهر موالاته الكفار قننتهم بأعيادهم ومدحهم)^(٣).

ومن أقوال سيد قطب التي لا تليق بالله U أنه يسمي الله U بالريشة المعجزة، والعقل
المدير^(٤)، وهذا الحاد في أسماء الله U.

قال الله U (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠))^(٥).

وقال الله U (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)^(٦)، وهذه التسمية ليست حسنى.

وقد سئلت اللجنة الدائمة بأرض الحرمين السؤال التالي: (هل من وصف الله U بالعقل
المدير للتقريب إلى أفهام العامة يكفر أم لا؟)، فأجابت: (إذا كان الواقع كما ذكر من وصفه الله
بالعقل المدير للتقريب إلى العامة فقد أساء بإطلاق ذلك على الله U لأن أسماء الله توقيفية لكنه
لا يكفر لعدم سوء قصده مع ما في إطلاقه العقل المدير عليه U من مشابهة الفلاسفة في قولهم
بالعقول العشرة)^(٧).

قال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): (والإلحاد في الأسماء: الميل بها عما يجب فيها، وهو
أنواع: والذي يخصنا هنا هو النوع الثاني والذي يشبه الله أسماء لم يسم الله بها نفسه، كقول

(١) الجزء الثالث جمع الدرويش، فتوى رقم (١١٦٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٢).

(٣) الولاء والبراء، ص (١٣).

(٤) ينظر: التصوير الفني لسيد قطب، ص (٢٧)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٥١).

(٥) سورة الأعراف، الآية (١٨٠).

(٦) سورة طه، الآية (٨).

(٧) ينظر: فتاوى اللجنة، (١٩٨/٣) جمع الدويش.

الفلاسفة في الله: إنه علة فاعلة، وبعضهم يسميه العقل الفعال وهذا إلحاد^(١)، قلت: وكذلك الحكم في تسميته بالريشة المعجزة^(٢).

قال سيد قطب عن العرش: (إنه رمز العظمة والملك والسيطرة والاستعلاء)^(٣).

وهذا أيضا لا يليق؛ فالعرش مخلوق عظيم جدا من مخلوقات الله وقد خصه الله بخصائص منها: الاستواء عليه، وقد جاءت الأدلة في إثبات عرش الرحمن:

قال تعالى (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ)^(٤)، وقال الله U (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ)^(٥)، وقال الله U (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)^(٦)، وقال الله U (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ)^(٧)، وقال الله U (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^(٨).

ومن السنة قول رسول الله ﷺ "لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا هو رب العرش العظيم"^(٩).

قال سعيد بن هليل العمر في كلام سيد قطب في رسالته (النصيحة): والتي أوصى بنشرها الشيخ الفوزان وقدم لها الشيخ عبيد الجابري قال: (وهذا عدول عن إثبات عرش الرحمن)^(١٠).

وقد كان لأجهلهم المدعو عمرو خالد الحظ الوافر من الأقوال الساقطة في جناب الله U والتي منها (حبة الله كمحبة العاشق للمعشوق) في رسالة له بعنوان (حبة الله)^(١١).

سئلت اللجنة الدائمة عن التسمي بعاشق الله؟، فأجابت: (في التسمي بعاشق الله سوء أدب)^(١٢).

وقال أيضا هداة الله: في شريط له بعنوان (آدم وحواء):

(١) ينظر: شرح كتاب التوحيد، (٩٥/٣)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(٥١).

(٢) البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(٥١).

(٣) ينظر: البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(٥١).

(٤) سورة البروج، الآية (١٥).

(٥) سورة غافر، الآية (١٥).

(٦) سورة المؤمنون، الآية (١١٦).

(٧) سورة الحاقة، الآية (١٧).

(٨) سورة طه، الآية (٥).

(٩) أخرجه البخاري (١٤٩/١١)، كتاب الدعوات، باب: الدعاء عند الكرب (٦٣٤٦).

(١٠) البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(٥٢).

(١١) المرجع شريط الرد على عمرو خالد للشيخ الحجوري تسجيلات البيضة، صنعاء، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص(١٠١).

(١٢) ينظر: الدعوى، ص(٨٤٩).

(إن الشيطان ليس بكافر)، (خلو بالكم يا جماعة إبليس ما كفرش بص إبليس يقول خلقتني ويقول فبعزتك)^(١).

قال الشيخ يحيى الحجوري: (ما لهذا المدبر لا ينظر إلى قول الله U (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)^(٢)).

قال الشيخ محمد الإمام: (قلت: الآيات الدالة على تكفير إبليس كثيرة فأشهر كفار الأرض منذ وجد الكفر هو إبليس)^(٣).

قال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): رداً على من زعم عدم كفر إبليس وأنه أقسم بعزة الله، قال الله U (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)^(٤)، والذي يقول إن إبليس ليس بكافر يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه كذب القرآن وأقسامه بعزة الله لأنه يعرف بأن الله عزيز فأقسم بعزة الله وأيضاً قال (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٥)).

وقال عمرو خالد أيضاً: (صعب على الله أن يغير واقع الأمة)^(٦).

قال الله U (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)^(٧)).

قال الله U (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٨)، قال الله U (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)^(٩)، قال الله U (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(١٠).

والآيات في إثبات قدرة الله على كل شيء كثيرة جداً، وهذا الكلام منه تشكيك في قدرة

(١) ينظر: البيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (١٠١).

(٢) سورة ص، الآية (٧٤).

(٣) إعانة الأبحاد، ص (٢٤).

(٤) سورة البقرة، الآية (٣٤).

(٥) سورة الحشر، الآية (٦).

(٦) في برنامج له على شبكة المعلومات الدولية المعروفة بالانترنت برابطة الموثوق، شريط (العلم).

(٧) سورة الكهف، الآية (٤٥).

(٨) سورة النور، الآية (٤٥).

(٩) سورة يس، الآية (٨٢).

(١٠) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

الله والتشكيك في قدرة الله كفر لكن عمرو خالد جويهل وضائع من الضائعين.

المبحث الرابع: مسألة الاستواء في السياسة الشرعية وسياسة

الإخوان:-

المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة من مسألة الاستواء:-

إن الاستواء على العرش صفة لله U، لكننا لا نعرف كيفية هذه الصفة كما لا نعرف حقيقة ذاته، ولا حقيقة صفاته، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك كان المتقدمون من السلف الأولين إذا سئلوا عن هذه الصفة أجابوا بقولهم: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): (استوي كما أخبر لا كما يخطر على قلب البشر)^(١). وقال الإمام رداً على من قال أن الله ليس على العرش: (كلامهم كله يدور على الكفر، وتوسع الإمام فقال لم أنكر أن يكون الله على العرش وقد قال الله U (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (٥) ^(٢)، قالت الجهمية: هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان ولا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان، واستدلوا بقول الله U (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) ^(٤).

قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): (قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، وقد أخبرنا أنه في السماء) ^(٥).

قال الله U (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) ^(٦)، وقال الله U (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ^(٧)، قال الله U (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) ^(٨).

(١) العقائد السلفية، (١/٢١١).

(٢) سورة طه، الآية (٥).

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة، لابن حنبل؛ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار اللواء بالرياض، ص(١٣٥).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٣).

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة، لابن حنبل؛ تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، طبعة دار اللواء بالرياض، ص(١٣٥).

(٦) سورة الملك، الآيتان: (١٦، ١٧).

(٧) سورة النحل، الآية (٥٠).

(٨) سورة الأنعام، الآية (١٨).

قال الإمام أحمد (رحمه الله): (هذا خبر الله اخبرنا انه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموماً).

قال الله U (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)^(١)، وقال الله U (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)^(٢)

قال شيخ الإسلام بن تيمية : (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله U : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفاء له، ولا ند له، ولا قياس بخلقه U، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون ما لا يعلمون، ولهذا قال الله U (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٣)، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون؛ فإنه الصراط المستقيم؛ صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)^(٤).

قال الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله): (ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله؛ محكمه، ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتشيت القرآن)^(٥)

قال الإمام الشافعي (رحمه الله): (آمنت بالله، وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، على مراد رسول الله)^(١).

(١) سورة النساء، الآية (١٤٥).

(٢) سورة فصلت، الآية (٢٩).

(٣) سورة الصافات، الآيات (١٨٠: ١٨٢).

(٤) شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: د. محمد خليل هراس، ص (١٣-٢٥)، طبعة مكتبة التراث الإسلامي.

(٥) شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي، (٥٤١-٦٣٠ هـ) بقلم محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: هاني

الحاج، طبعة مكتبة العلم، ص (٢٢-٣٢).

(١) السابق.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإقرار والإثبات؛ لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله.

المطلب الثاني: تأويل الإخوان للاستواء والرد عليه:-

قال سيد قطب: (والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء، فأمر الناس إذن إليه وما على الرسول إلا التذكرة لمن يخشى. ومع الهيمنة والاستعلاء الملك والإحاطة)^(١). وقال أيضا: (والاستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله. أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه، ولا بد من الوقوف عند لفظه. وليس كذلك الاستواء. فظاهر أنه كناية عن الاستعلاء)^(٢)، ومنهم من يجعل الاستواء من التشابه الذي يوقف عنده بحيث يؤمنون به على الإجمال دون الخوض في المعنى.

قال حسن البنا: (وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما لحق بذلك من التشابه تؤمن به من غير تأويل ولا تعطيل، وأورد انتصارا لقوله الساقط قول الله U (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (٥)، وقول الله U (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ أَعْظَمًا (١٠)) (٤)، فنحن لا نعرف هذه المعاني المقصودة بل نفوض الأمر فيها لله U) (٥).

ولا شك أن اعتبار مثل هذه الآيات والأحاديث من التشابه الذي لا يدري معناه ليس مذهب أهل السنة والجماعة وقد مر بنا الرد على هذا.

قال العلامة ابن باز (رحمه الله): ردا على تفسير سيد قطب الاستواء بالهيمنة، (هذا كلام فاسد ما أثبت الاستواء، هذا باطل يدل على أنه مسكين ضائع في التفسير)^(٦)، وكل ذلك لبعدهم عن دراسة العقيدة الإسلامية دراسة تأصيلية فأبعدتهم عن منهج السلف الصالح.

هذا بخلاف أن هذا التأويل لا ينتهض من جهة اللغة لوجوه متعددة أبرزها فيما يلي:-

١ - ليس في كلام العرب ألبتة استوي بمعنى استولى، ولا نقله أحد من أئمة اللغة يحتج بهم ويعول على قولهم، بل المنقول عنهم بالإسناد الصحيح الصريح أنهم أنكروا ذلك غاية الإنكار.

(١) في ظلال القرآن، (٤/٢٣٢٨).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٢٥٠٧).

(٣) سورة طه، الآية (٥).

(٤) سورة الفتح، الآية (١٠).

(٥) شرح الأصول العشرين، ص (٣٩).

(٦) ينظر: النصيحة، ص (١٧).

قال بن الأعرابي من أعلام أئمة اللغة (رحمه الله): (أرادني ابن أبي داود^(١) أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^(٢)، بمعنى استولى فقلت له: والله ما يكون هذا، ولا وجدته)^(٣).

قال الخليل بن أحمد (رحمه الله): عن استوي بمعنى استولى في اللغة (هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها)^(٤).

٢ - هذا المعنى الفاسد إنما قاله متأخرو النحاة الذين سلكوا سبيل المعتزلة والجهمية، ومع ذلك لم يقولوه نقلاً، وإنما قالوه استنباطاً وحملًا منهم لكلمة استوي على استولى.

٣ - أن الاستيلاء الذي فسروا به الاستواء يراد به: الخلق، أو القهر، أو الغلبة، أو الملك، أو القدرة عليه، ولا يصح أن يكون شيء منها مراداً في قول الله U (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ((٥))^(٥).

٤ - لا يقال: استولى فلان على كذا؛ إلا إذا كان غير متمكن منه، ثم تمكن منه. أيكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه؟! فليقل لنا المتأول المدة التي كان العرش فيها قبل خلق السماوات والأرض ليس الله بمستول عليه.

٥ - لا يطلق الاستيلاء إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر، والله U لا يعجزه شيء. والاستواء دليل على علو الخالق على خلقه ومباينته لهم، وهذه المسألة تواترت الأدلة على إثباتها، حتى أضحت يقينا لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان؛ اللهم! إلا من ركب مركب التأويل الباطل؛ ليحرف الكلم عن مواضعه كيف وهي من المعلوم من الدين بالضرورة.

المبحث الخامس: الإيمان بالرسول والأنبياء

في السياسة الشرعية وسياسة الإخوان:-

المطلب الأول: الإيمان بالرسول والأنبياء ومقتضياته عند أهل السنة والجماعة:-

الإيمان بالرسول هو التصديق الجازم بأن الله U بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله U به، لم يكتموا منه

(١) هو: أحمد بن أبي دؤاد القاضي الجهمي الذي كان سبباً في وقوع الإمام أحمد -رحمه الله- في الحنة والبلاء وفتنة خلق القرآن.

(٢) سورة طه، الآية (٥).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٨٣/٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٩/٣) بإسناد

صحيح.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٥).

(٥) سبق.

حرفاً ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، وأنهم كلهم على الحق المبين واهدى المستبين، وأن الله U فضل بعضهم على بعض، وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو التوحيد، وأما فروع الشرائع فقد تختلف لحكمة بالغة وغاية محمودة قضائها ربنا U ليلوكم أيكم أحسن عملاً^(١).

مقتضيات الإيمان بالرسول:-

١ - الإيمان بأنهم معصومون مما يخل بالتبليغ، فهم معصومون من كتمان الرسالة ومن الكذب في دعواها ومن الجهل بأي حكم نزل عليهم، ومن الشك والتقصير في تبليغه، ومعصومون من تصور الشيطان لهم في صورة ملك وتلبسه عليهم، قال الله U (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) (٢) (٣)).

٢ - الإيمان بأنهم معصومون من الخطأ والنسيان؛ لأنهما من توابع الكذب، وأنهم معصومون من السهو في الأفعال البلاغية، وأنهم معصومون من المعاصي قبل البعثة، لأن الله U لا يبعث من أشرك به طرفه عين أو جهل به أو بصفة من صفاته، ولكنه U يبعث من نشأ على الإيمان والتوحيد والأمانة والصدق والأخلاق الكاملة والصفات الفاضلة^(٤).

قال الإمام ابن كثير الدمشقي (رحمه الله): في (تفسير القرآن العظيم): تفسير قول الله U (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١))^(٥).

يتوعد الله U الكافرين به وبرسوله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسوله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود -عليهم لعائن الله- آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد -عليهما أفضل الصلاة والسلام- والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ٣.

وعلى هذا فالإيمان برسول الله U معلم من معالم العقيدة الإسلامية فلا يتصور إيمان امرئ

(١) معارج القبول، (٦٥/٢، ٦٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٣) حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق، ص (١١٩-١٣٠).

(٤) حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق، ص (١١٩-١٣٠).

(٥) سورة النساء، الآيتان (١٥٠:١٥١).

مسلم ما لم يكن هذا المعلم متجسدا فيه، وعلى ذلك فمن جحد إرسال الرسل، لم يقدر الله حق قدره، بل ونسب إلى الله U ما لا يليق به، إذ في جحد رسل الله U إنكار لدينه وإلهيته وملكه ورحمته، وذلك لأنهم حملة منهجه U ومبلغوه إلى الخلق، فهم بمثابة حلقة الوصل بين الله U وبين عباده لتوصيل منهج الله إليهم فعلا وقولا، ومن ثم فالمؤمن يعتقد اعتقادا جازما أنه لم تخل أمة من رسول بعثه الله U إليهم بشريعة مستقلة، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليحدثها، كما قال الله U (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (٢٤) (١).

المطلب الثاني: كلام الإخوان في حق الأنبياء والرسل بما لا يليق والرد عليهم:-

الناظر في بعض كتابات الإخوان يجد أنهم قد لمزوا الأنبياء بشيء تعافه الأنفس ولا يتفق مع عقيدة الإسلام، فجد ما كتبه سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن الكريم) عن موسى U أنه زعيم، شاب مندفع، عصبي المزاج، كما تراه يشكك في تكليم الله U وقوله أيضا في حق إبراهيم U: إنه شاك في ربه، وإن إكرامه للضيف كان من عادة البدو، وهذه الأقوال التي صدرت منه كان يجب فيها التوبة (٢)، قال المودودي في الشقيقات: (إن سيدنا يونس قد صدرت منه بعض التقصيرات في تبليغ فريضة الرسالة) (٣)، وقال أيضا: (وإن سيدنا نوحا أصبح مغلوبا أما نزواته وطغت عليه عواطف الجاهلية) (٤).

وقال أيضا: (إنها لم تكن مطالبة لمنصب وزير فقط بل إنها كانت مطالبة للدكتاتورية ونتيجة ذلك كان وضع سيدنا يوسف U شبيها جدا من وضع موسوليني في إيطاليا الآن) (٥)، لا خلاف بين الفقهاء على أن المسلم إذا سب نبيا، أو عرض به، أو لعنه، أو عابه، أو قذفه، أو استخف بحقه، أو أضاف له ما لا يجوز عليه، أو نسب إليه ما لا يليق به، فهو كافر مرتد يجب قتله (٦).

(١) سورة غافر، الآية (٢٤).

(٢) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص (١٨)، والبيان عن حال كبار علماء وزعماء الإخوان، ص (٤٩).

(٣) الشقيقات، للمودودي، ص (٢١).

(٤) الشقيقات، للمودودي، ص (٢٢).

(٥) الشقيقات، للمودودي، ص (٢٠).

(٦) ينظر: الدر المختار (٢٣٤/٤)، وغمر عيون البصائر (١٩١/٢)، وحاشية ابن عابدين (٢٣٥/٤)، وفتاوى السعدي (٦٩٤/٢)، وجمع الأثر (٦٩٢/١)، والمنتقى للباجي (٢١٠/٧)، وتبصرة الحكام (٢٨٠/٢)، ومواهب الجليل (٢٨٥/٦)، وشرح الخرشي (٧٠/٨)، والفواكه الدواني (٢٠٢/٢)، وفتح العلي المالك (٣٥٧/٢)، ومنح الجليل (٢٨٨/٩)، وأسن المطالب (١١٧/٤)، والوسيط للغزالي (٨٧/٧)، وخبايا الزوايا، ص (٤٢٦)، وروضة الطالبين (٦٤/١٠)، ومطالب أولي النهي (٢٠٧/٦)، ومنار السبيل (٣٣٥/٢)، والروض المربع (٣١٦/٣)، والخلی (٤٣٨/١٢)، والنيل وشفاء العليل (٥٩٨/١٧)، والبحر الزخار (٢٠٥/٦).

قال بن المنذر (رحمه الله): (أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي ﷺ القتل)^(١).
والأدلة على كفر المسلم المعتدي على حرمة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء - عليهم السلام -
ووجوب قتله من الكتاب والسنة والآثار أكثر من أن تحصى، منها: قول الله ﷻ (إِنَّ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)^(٢).

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ لعن من يؤذي النبي ﷺ في الدنيا، وقرن الله ﷻ أذاه بأذاه، ولا
خلاف في قتل من سب الله ﷻ وأن اللعن يستوجب من هو كافر، وحكم الكافر القتل، ولأن
الله ﷻ قد فرق بين أذاه وأذى رسوله ﷺ وبين أذى المؤمنين في الآية بعدها، وفي أذى المؤمنين ما
دون القتل من الضرب والنكال، فكان حكم من آذى الله ونبيه أشد من ذلك، وهو القتل^(٣).

ومنها ما رواه أبو داود في سننه عن بن عباس - رضي الله عنهما - أن أعمى كانت له أم
ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة
جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول^(٤)، فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين
رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال
أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام، فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتنزل حتى قعد
بين يدي النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي
وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت
تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعت في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ:
(ألا اشهدوا أن دمها هدر)^(٥).

وجه الاستدلال: الحديث فيه دليل على أنه يقتل من سب النبي ﷺ ويهدر دمه^(٦).
وبناء على ذلك، فليس لأي إنسان الحق في التشكيك في رسل الله ﷻ، أو الافتراء عليهم
بشيء هو علم يقين لدينا ثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلا كفر لا محالة.

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (١٣/٢)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢١٥/٢)، وشرح النيل وشفاء العليل
(٦٠٢/١٧)، وحاشية ابن عابدين (٢٣٢/٤).

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢١٩/٢، ٢٢٠).

(٤) المغول: بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو، اختلف في حقيقتها: فقيل هو سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه
فيغطيها، وقيل: حديدة دقيقة ذات حد ماض، وقيل: هو سوط في حوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس.

ينظر: عون المعبود (١١/١٢)، وحاشية السندي (١٠٨/٧).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن رقم (٤٣٦١)، والنسائي في المجتبى (١٠٧/٧)، وفي الكبرى رقم (٣٥١٩).

(٦) سبل السلام (٣٨٤/٢).

المبحث السادس: مسألة المهدي المنتظر في السياسة الشرعية وسياسة

الإخوان:

المطلب الأول: إنكار الإخوان للمهدي المنتظر:-

من المآخذ على جماعة الإخوان إنكارهم المهدي المنتظر، قال حسن البنا: (فمن حسن الحظ لم نر في السنة الصحيحة ما يثبت دعوى المهدي، وإنما أحاديث تدور بين الضعف والوضع)^(١). وقوله بوضع أحاديث المهدي أو ضعفها قول عار عن الصحة يخالف ما عليه سلف الأمة وعلماء أهل الحديث، حيث اتفقوا على أن أحاديث المهدي متواترة من حيث المعنى. وقد روى حديث المهدي وخروجه في آخر الزمان وأنه ينشر العدل جمع من الصحابة منهم: - علي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة بن اليمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم Y ، وأحاديث المهدي خمسون حديثاً تقريباً منها الصحيح والحسن وهي متواترة من حيث المعنى كما نص على ذلك علماء الأمة دون منازع، قال العلامة الألباني (رحمه الله) في السلسلة الصحيحة: (وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى P بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى يصلي خلفه)^(٢)، ومن أنكر المهدي في هذا العصر: محمد عبده المصري ومحمد رشيد رضا، ومحمد فريد وجدي، وأحمد أمين، وأبو الأعلى المودودي، وهم من المدرسة العقلية الجديدة^(٣).

وإليك أقوال بعض هؤلاء:

١ - قال أبو الأعلى المودودي: في رسالة (البيانات عن المهدي): (إن الأحاديث في هذه المسألة على نوعين: أحاديث فيها الصراحة بكلمة المهدي وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلي كلمة الإسلام وليس سند أي رواية من هذين النوعين من القوة حيث يثبت أمام مقياس الإمام البخاري لنقد الروايات فهو لم يذكر منها أي رواية في صحيحه، وكذلك ما ذكر منها الإمام مسلم إلا رواية واحدة في صحيحه، ولكن ما جاءت فيها أيضاً الصراحة بكلمة المهدي)، (لا يمكن بتأويل مستبعد أن في الإسلام منصبا دينيا يعرف بالمهدية يجب على كل مسلم أن يؤمن به ويترتب على عدم الإيمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية في الدنيا

(١) ينظر: حسن البنا في كتاب (حديث الثلاثاء) تسجيل وإعداد أحمد عيسى عاشور، ص (١٠٨).

(٢) (٣٧٢/٥).

(٣) دعوة الإخوان في ميزان الإسلام، ص (٨٣).

والآخرة)، (مما يناسب ذكره في هذا الصدد أن ليس من عقائد الإسلام عقيدة عن المهدي ولم يذكرها كتاب من كتب أهل السنة للعقائد)^(١).

٢- قال محمد رشيد رضا: (وقد تقدم في الكلام على أشراط الساعة من تفسير سورة الأعراف أن أحاديث المهدي لا يصح منها شيء يحتاج به، وأنها مع ذلك متعارضة متدافعة، وأن مصدرها نزعة سياسية شيعية معروفة، وللشيعية فيها خرافات مخالفة لأصول الدين لا نستحسن نشرها في هذا التفسير)^(٢).

٣- قال محمد فريد وجدي: (وقد ضعف كثير من أئمة المسلمين أحاديث المهدي واعتبروها مما لا يجوز النظر فيه وإنما إذ أوردناها مجتمعة لتكون بمرأى من كل باحث في هذا الأمر حتى لا يجروا بعض الغلاة على التضليل بما على الناس)^(٣). ولا شك أن كلام هؤلاء مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة:-

إن من بين الأمور المستقبلية التي تجري في آخر الزمان، عند نزول عيسى ابن مريم **U** من السماء، هو خروج رجل من أهل بيت النبوة من ولد علي بن أبي طالب، يوافق اسمه اسم الرسول **ﷺ** ويقال له المهدي، يتولى إمرة المسلمين، ويصلي عيسى ابن مريم **U** خلفه، وذلك لدلالة الأحاديث المستفيضة عن رسول الله **ﷺ**، التي تلقتها الأمة بالقبول، واعتقدت موجبها إلا من شذ، وهو من علامات الساعة، وأن الدجال يأتي من بعده ثم ينزل عيسى فيقتل الدجال، والأحاديث التي جاءت في هذا الموضوع كثيرة جدا من أبرزها ما يلي:

١- وعن عبد الله بن مسعود **T**، عن النبي **ﷺ** قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا".

وفي رواية الترمذي: "لا تذهب الدنيا أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي"^(٤).

٢- وعن أبي سعيد الخدري **Y** قال: رسول الله **ﷺ**: "لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٩/٦١).

(٢) تفسير المنار (١٠/٣٤٢).

(٣) دائرة معارف القرن العشرين (١٠/٤٨١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١)، وأحمد (٣٧٦/١)، والحاكم (٤٤٢/٤)، والبخاري (١٨٠٢)، والبيهقي (١٨٠٤)، وابن أبي شيبة في المسند (٢٨٣)، وفي المصنف (٥١٣/٧)، رقم (٣٧٦٤٧)، والشاشي في مسنده (٦٢١)، وابن حبان (٢٣٦/١٥)، رقم (٦٨٢٤)، رقم (٦٨٢٥).

ظلما وعدوانا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وعدوانا"^(١)

٣- وعن أبي سعيد الخدري **ل**قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله **ﷺ** فقال: "إن في أمي المهدي يخرج، يعيش خمسا، أو سبعا، أو تسعا - شك الراوي - قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين، قال فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني، أعطني، قال: فحيثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله"^(٢)

٤- عن أبي سعيد قال قال رسول الله **ﷺ** "من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عددا" وفي رواية ابن حجر "يحثي المال"^(٣)

قال الشوكاني: في رسالة (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح):
(الأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر)^(٤).

قال الإمام ابن كثير الدمشقي (رحمه الله): تعليقا على قول رسول الله **ﷺ** "يصلحه الله في ليلة" (إذ يتوب عليه ويوفقه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك)^(٥).

(١) أخرجه أحمد (٣٦/٣)، وأبو يعلى في مسنده (٩٨٧)، وابن حبان (١٨٨٠)، والحاكم (٥٥٧/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية (١٠١/٣)، من طريق أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري به وسنده صحيح، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٣/٤)، رقم (١٥٢٩)، وقال بعد أن أورد طرفا من طرق الحديث وتكلم عنها وصححها: بعد هذا كله أليس من العجيب حقا قول الشيخ الغزالي في مشكلاته التي صدرت عنه حديثا ص(١٣٩): من محفوظاتي وأنا طالب أنه لم يرد في المهدي حديث صريح وما ورد صريحا فليس بصحيح! فمن الذين لقنوك هذا النفي و حفظوك إياه وأنت طالب؟، أليسوا هم علماء الكلام الذين لا علم عندهم بالحديث، ورجاله، وإلا فكيف يتفق ذلك مع شهادة علماء الحديث بإثبات ما نفوه؟! أليس في ذلك ما يحملك على أن تعيد النظر فيما حفظته طالبا، لاسيما فيما يتعلق بالسنة والحديث تصحيحا وتضعيفا، وما بني على ذلك من الأحكام والآراء ذلك خير من أن تشكك المسلمين في الأحاديث التي صححها العلماء لمجرد كونك لفتته طالبا ومن غير أهل الاختصاص والعلم؟، واعلم يا أخي المسلم أن كثيرا من المسلمين اليوم قد انخرقوا عن الصواب في هذا الموضوع فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي وهذه خرافة و ضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة وبخاصة الصوفية منهم و ليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقا بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي **ﷺ** بشر المسلمين برجل من أهل بيته ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام و ينشر العدل بين الأنام فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة كما صح عنه **ﷺ**.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، حديث (٢٣٣٢)، ط إحياء التراث، قال العلامة الألباني (حسن).
(٣) أخرجه مسلم، كتاب (الفتن)، باب: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل)، (٥١٩٠)، أخرجه أحمد في باقي مسند المكثرين، حديث (١٣٨٨٦).

(٤) مقدمة العرف الورد في أخبار المهدي، لجلال الدين السيوطي. تحقيق أبي يعلى البيضاوي.

(٥) مقدمة العرف الورد في أخبار المهدي، لجلال الدين السيوطي. تحقيق أبي يعلى البيضاوي.

٥- عن أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **ﷺ** " المهدي مني أجلى ^(١) الجبهة، أقنى ^(٢) الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين " ^(٣).

٦- قال رسول الله **ﷺ** " المهدي من عترتي " ^(٤).

ونقل القرطبي (رحمه الله) في (تذكرته): حديث أبي هريرة وفيه أن النبي **ﷺ** قال " يبايع لرجل بين الركن والمقام فهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان وفيه: روى أن ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: غرود وبختنصر، وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي " ^(٥).

٧- عن ثوبان **t** أن رسول الله **ﷺ** قال " يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم ". ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: " فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي " ^(٦).

قال الإمام ابن كثير الدمشقي (رحمه الله): (والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامرا، كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان لا من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان، إلى أن قال: " ويؤيده بناس من أهل المشرق ينصرونه ويسيرون سلطانه ويشدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً، وهو زى عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله **ﷺ** كانت سوداء يقال لها العقاب " إلى أن قال: (والمقصود: أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل خروجه وظهوره من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك نص الأحاديث) ^(٧).

٨- عن جابر **t** قال: قال رسول الله **ﷺ** " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على

(١) الأجل: الخفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته: النهاية في غريب الحديث (٢٩٠/١).

(٢) (أقنى الأنف): القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه. النهاية في غريب الحديث (١١٦/٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٧/٤) كتاب المهدي (٤٢٨٥)، والحاكم في المستدرک (٥٥٧/٤).

(٤) قال الخطابي: العترة: ولد الرجل لصلبه، ويكون العترة للأقرباء وبني العمومة، ومنه قول أبي بكر **t** يوم السقيفة: نحن عترة رسول الله **ﷺ**. معالم السنن (٤٧٤/٤).

(٥) التذكرة للقرطبي، ص (٣٣٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤).

(٧) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم (٥٥٠/١، ٥٦).

بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة" (١).

٩ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : " عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئا في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: "العجب أن ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم"، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد تجمع الناس، فقال: "نعم، فيهم المستبصر" (٢)، والمجبور (٣)، وابن السبيل يهلكون مهلكا واحدا، ويصدرون مصادر شتى (٤)، يبعثهم الله ﷻ على نياهم" (٥).

١٠ - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ " يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج من بني هاشم فيأتي مكة فيستخرجه الناس من بيته بين الركن والمقام، فيجهز إليه رجل من قريش، أخواله من كلب، فيجهز إليه جيش فيهزمهم الله، فتكون الدائرة عليهم، فذلك يوم كلب، الخائب من خاب من غنيمة كلب، فيستفتح الكنوز ويقسم الأموال، ويلقي الإسلام بجرانه (٦) إلى الأرض، فيعيشون بذلك سبع سنين أو قال: تسعا" (٧).

وهكذا تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ وليست هناك روايات صحيحة صريحة تدل على مكان خروجه ، أو الزمن الذي يخرج فيه ، ولكن استأنس أهل العلم في بيان ذلك من مفهوم بعض الروايات وإن لم تكن قطعية.

قال الإمام محمد السفاريني: (وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عد من معتقدهم) (٨).

قال الإمام الشوكاني: (الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك وشبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما

(١) أخرجه أحمد (٣٤٥/٣) (١٤٧٧)، وفي (٣٨٤/٣) (١٥١٩٤)، ولفظ مقارب عند مسلم في صحيحة، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم (١٣٧/١) حديث (١٥٦) وفي كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» (١٥٢٤/٣) حديث (١٩٢٣).

(٢) المستبصر: المستبين للشيء، القاصد له عمدا، يعني أنهم كانوا على بصيرة من ضلالهم، ينظر: النهاية في غريب الحديث (١٣٢/١).

(٣) المجبور: أي المكره على الخروج دون إرادته، ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢٣٦/١).

(٤) مصادر شتى: أي يهلكون جميعهم، ولكن مصادرهم عن الهلكة متفرقة، فمنهم إلى الجنة، ومنهم إلى النار على قدر أعمالهم ونياهم، ينظر: النهاية في غريب الحديث (١٥/٤).

(٥) أخرجه مسلم في الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٢١٠/٤)، حديث (٢٨٨٤).

(٦) بجرانه الجران: باطن العنق، والمعنى: أن الإسلام قد قر قراره واستقام وطبقت أحكامه، ينظر: لسان العرب (٨٦/١٣).

(٧) أخرجه أحمد (٣١٦/٦)، وأبو داود (٤٢٨٦).

(٨) ينظر: لوامع الأنوار البهية (٨٤/٢).

الآثار عن الصحابة المصراحة بالمهدي فهي كثيرة أيضا، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك^(١).

المبحث السابع: مسألة خلق القرآن:-

المطلب الأول: قول بعض الإخوان بخلق القرآن:-

قال سيد قطب: (ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا مثل هذا القرآن؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الإنسان)^(٢)، وقال أيضا: (كما أن الروح من الأسرار التي اختص الله بها فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك الخلق محاكاته)^(٣).

فمن ينظر في هذين الموضعين يرى أنهما يبينان قوله بخلق القرآن وذلك واضح في قوله (صنع الله) مرتين، والصناعة خلق، والقرآن غير ذلك، فمن قال بأن القرآن صنعة الله فقوله غير صواب لمخالفته للكتاب والسنة وطريقة السلف الصالح في الحديث عن القرآن حيث يعبرون بقولهم: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فعقيدة السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قال الله U (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣))^(٤).

ونود التنبيه هنا على أننا لا نكفر سيد قطب لقوله السابق، إنما ننبه على مخالفة قوله في القرآن لمقالة أهل السنة والجماعة الذين يقولون القرآن كلام الله ولا يقولون صنع الله لأن هذا يشبه أن يكون من جنس قول القائلين بخلق القرآن وهذا الحكم بكفر القائل بخلق القرآن على العموم والإطلاق لا على التعيين فتكفير المعين لا بد فيه من توافر الشروط وانتفاء الموانع مع إقامة الحجة وهذا الأمر مرده إلى أهل العلم.

المطلب الثاني: أصل القول بخلق القرآن عند المعتزلة :-

مسألة خلق القرآن التي باتت تشغل أذهان المسلمين، لم تظهر بين المسلمين منذ بداية الدعوة وظهور الإسلام حتى فترة هشام بن عبد الملك في عصر الدولة الأموية في أواخر القرن الثاني الهجري، فحتى هذه الفترة الزمنية عرف المسلمون القرآن الكريم بأنه كلام الله U ولم يصفوه

(١) ينظر: التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح. ورقة: (٤، ٥).

(٢) في ظلال القرآن (٢٢٤٩/٤).

(٣) في ظلال القرآن (٢٧١٩/٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

بأنه قديم أو حديث^(١).

وفي سنة نيف وعشرين ومائة للهجرة أحدث الجعد بن درهم القول بخلق القرآن، وكان ذلك في عهد هشام بن عبد الملك، ولا خلاف بين الأمة في أن الجعد بن درهم هو أول من قال: القرآن مخلوق ولكن الجعد ما كاد يظهر بمقالته هذه حتى أخذه هشام وأرسله إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق، وأمره بقتله فقتله، إذن فلم يطل العهد بالجعد حينما أظهر مقالته بخلق القرآن^(٢).

وقبل أن يقتل لقي الجهم بن صفوان هذا الجعد الذي فر إلى الكوفة هرباً من بني مروان حين أظهر القول بخلق القرآن وتقلد عنه هذا القول وقال به فأخذه المعتزلة عنه.

ونستطيع أن نقرر أن القول بخلق القرآن قد لقي على أيدي المعتزلة دعاية واحتجاجاً وانتشاراً ورواجاً، أكثر مما لقي على يد الجعد بن درهم والجهم بن صفوان لأن هذين عاشا في أواخر عهد الدولة الأموية، وكانت الأبحاث العلمية في عهدها لا تزال في حالة البداوة والسذاجة، ولم تصل إلى درجة القواعد المنظمة، والشرح المحكم، وإنما وصلت إلى هذه الدرجة في صدر الدولة العباسية التي ناصر خلفاؤها الحركة العلمية ونهضوا برفع البناء الذي وضع أساسه العلماء في الدولة الأموية، وفي هذا العهد - عهد صدر الدولة العباسية - كان نجم المعتزلة يتألق، وكانت أبحاثهم العلمية تتدفق، وكان الخلفاء والوزراء يظاهروهم ويناصروهم، ويذهبون مذهبهم في القول بخلق القرآن، ويرسلون الكتب في الأمصار إلى عمالهم عليها لدعوة العلماء والقضاة وغيرهم إلى اعتناق هذا الرأي، فمن أقر بأن القرآن مخلوق أقر على عمله، ومن لم يقر بذلك عزل من عمله، وأرسل إلى الخليفة مكبلاً في الأغلال حيث يلقي حتفه، أو يجلد ويشهر به.

وهكذا حدث بين المسلمين بسبب هذا الأمر فتنة عظيمة أطلق عليها المؤرخون اسم (الخنعة)، وظلت الخنعة مدة خلافة المأمون والمعتصم والواثق، ولما جاء المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) أمر الناس بالتسليم والتقليد^(٣)، وكان ممن أؤذي بسبب إمساكه عن القول بخلق القرآن الإمام أحمد بن حنبل، ولقد حصل له مع المعتصم مناقشة حول هذه المسألة، وكان ذلك

(١) لم يرد في كتب السنة الصحيحة ما يثبت أحد الأمرين، وقد ذكر الآمدي في شرحه على العقائد العضدية (٢٢٩/٢) والشهرستاني في الملل والنحل ص (١١٣/١) قول الرسول ﷺ: (القرآن كلام الله غير مخلوق) لكن لم يصح هذا الحديث عند المعتزلة وعلى فرض صحته فهو مؤول بأن القرآن غير مختلق من لدن محمد ﷺ بل هو كلام الله ﷻ، والحديث إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

(٢) ينظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص (٣٢).

(٣) وكان ذلك الأمر في سنة ٢٣٤هـ.

بحضرة مشايخ المعتزلة ومنهم أحمد بن أبي دؤاد، وقد ثبت أحمد بن حنبل على رأيه ولم يقل بأن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، وكان المعتصم كلما أورد له دليلا من الكتاب أو السنة أسرع إلى تنفيذه، وكلما أورد له دليلا من العقل أمسك عن الكلام فيه وقال: ائتوني بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أتحدث إليكم فيه، وهكذا أصبحت هذه المسألة على أيدي المعتزلة بحثا له أهميته في علم الكلام تقام له الحجج من المؤيدين والمعارضين على خلق القرآن أو قدمه^(١).

وقد اتخذت القضية بعد محنة الإمام أحمد وانطفاء نارها طابع شتآن خاصا مميزا يميز بين القائلين بها وغير القائلين بها، وأصبحت مدعاة خلاف وشقاق عريض بين كثير من أهل العلم، وصارت سببا من أسباب الجرح والتعديل، التي تضعف بها الأسانيد والأحاديث، وجرح بها أقوام من العلماء والمحدثين والفقهاء والقضاة والرواة الثقات الأثبات، كما ترى تلك الجروح مستفيضة في كتب الجرح والتعديل.

المطلب الثالث: رد أهل السنة والجماعة على القائلين بخلق القرآن:-

قال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): (وهذه المسألة وقع فيها النزاع الكثير بين المعتزلة وأهل السنة وحصل بها شر كثير على أهل السنة ومن أودى في الله في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة الذي قال فيه بعض العلماء: إن الله حفظ الإسلام أو قال نصره بأبي بكر يوم الردة وبالإمام أحمد يوم المحنة)^(٢).

وقال أيضا: (القرآن كلام الله U وهو صفة من صفات الله وصفات الخالق غير مخلوقة)^(٣). قال الإمام اللالكائي (رحمه الله): (أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلقه فهو كافر، وأسندها إلى خمسمائة وخمسين إماما، سوى الصحابة الأخيار)^(٤). وقال أيضا: (ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماءهم ألوفا كثيرة، لكنني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصرا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر، ومن أنكر قولهم استتابوه، أو أمروا بقتله، أو نفيه، أو صلبه)^(٥).

والأدلة على كون القرآن كلام الله غير مخلوق أكثر من أن تحصر، ومن ذلك :
قول الله U (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ)^(٦).

(١) ينظر: البداية والنهاية (٣٥٢/١٠) وما بعدها، والآداب الشرعية لابن مفلح، ص (١٩٥، ١٩٦)، والطبري (٦٤٢/٨)، الدولة

العباسية، الشيخ الخضري، ص (٢٠٢-٢٠٩)، د. حسن إبراهيم (١٣٢/٢، ١٣٣).

(٢) ينظر: شرح الواسطية، ابن عثيمين، ص (٣٦٠).

(٣) السابق نفسه، ص (٣٦٦).

(٤) ينظر: اعتقاد أهل السنة (٣١٢/٢).

(٥) السابق.

(٦) سورة الأعراف، الآية (٤٥).

ففرق الله U بين الخلق والأمر فالخلق خلق الله، والأمر: القرآن.

وقول الله U (الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣))^(١)

ففرق الله U بين علمه وخلقه فالقرآن علمه، والإنسان خلقه.

وقول الله U (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)^(٢).
فالعلم هاهنا هو القرآن.

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من نزل منزلا ثم
قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك"^(٣)،
فكلمات الله غير مخلوقة؛ إذ لا يشرع الاستعاذة بمخلوق، وإنما يستعاذ بالله U وبأسمائه وصفاته.
والقول في مسألة خلق القرآن قول في مسألة من أصول الدين والقول بخلق القرآن كفر
ظاهر؛ إذ هو تكذيب لنصوص الوحي، وإلحاد في أسماء الله وصفاته، وتعطيل لما يجب لله U من
الكمال، أفيقال بعد هذا: إن هذه المسألة ليست من أصول الدين؟

أيظن أن السلف الصالح يكفرون ويغلظون على من خالفهم في مسألة فرعية؟ أيظن أن
الإمام أحمد بن حنبل يعرض نفسه للتلغ لأجل مسألة يسوغ فيها الخلاف؟ فلقد كابد الإمام أحمد
السجن أكثر من عامين، وتخلّى عنه الناس، وتوالت عليه السياط، وعانى الضرب الشديد حتى
تخلعت يده، وتفاقت جروحه، ومنع من صلاة الجمعة والجماعة... أفيكون ذلك كله لأجل أمر
اجتهادي؟ قال بشر الحافي: بشأن الذين أجابوا في المحنة (وددت أن رؤوسهم خضبت بدمائهم،
وأفهم لم يجيبوا)^(٤).

لقد أكمل الله U لأمة الإسلام الدين وأتم عليهم النعمة: فنحن نعلم أن كل حق يحتاج
الناس إليه في أصول دينهم لا بد أن يكون مما بينه الرسول ﷺ؛ فكيف يجوز أن يترك الرسول
أمرا من أصول الدين التي لا يتم الإيمان إلا به لم يبينه للناس؟.

وهذا مما احتج به علماء السنة على من دعاهم إلى قول الجهمية القائلين بخلق القرآن،
وقالوا: إن هذا لو كان من الدين الذي يجب الدعاء إليه لعرفه الرسول ﷺ، ودعا أمته إليه فكل
من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة.

قال شيخ الإسلام بن تيمية (رحمه الله): في الطعن على القائلين بخلق القرآن:

(١) سورة الرحمن، الآيات: (١:٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨١٢٠٨٠): كتاب الذكر والتوبة والاستغفار: باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٤) ينظر: حلية الأولياء (٣٤٥/٨).

(وكان أهل العلم والإيمان قد عرفوا باطن زندقتههم ونفاقهم، وأن المقصود بقولهم: إن القرآن مخلوق أن الله لا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، وبهذا تتعطل سائر الصفات: من العلم والسمع والبصر وسائر ما جاءت به الكتب الإلهية، وفيه أيضا قدح في نفس الرسالة؛ فإن الرسل إنما جاءت بتبليغ كلام الله، فإذا قدح في أن الله يتكلم كان ذلك قدحا في رسالة المرسلين، فعلم أن في باطن ما جاءوا به قدحا عظيما في كثير من أصلي الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله)^(١).

لقد كانت مقالة الأشاعرة في القرآن أقل انحرافا من مقالة المعتزلة؛ فإن المعتزلة يزعمون أن القرآن مخلوق لفظا ومعنى، وأما الأشاعرة فيجعلون القرآن هو المعنى القائم بذات الله، وأما الحروف والأصوات فهي دالة عليه، وهي مخلوقة. ومع ذلك فإن مقالة الأشاعرة قد آلت بالتأخيرين منهم إلى القول بأن المصحف ليس فيه إلا المداد والورق، فامتهنوا القرآن وداسوه بأرجلهم. وأخيراً..

فإن المتعين في فقه هذه المسألة الجلييلة، إظهارها بين الخلائق، وبيان عمق علم السلف، وحدة أفهامهم، ودرايتهم بمآلات الأقوال ولوازمها، خلافا لمن تنكب سبيلهم فهون من شأن هذه المسألة، وخاض فيها بالباطل، وانتقص أهل السنة، فجمع بين الجهل والظلم، فلا علم مصدق ولا عدل محقق. وبالله التوفيق.

المطلب الرابع: موقف الإمام أحمد ومحتنه بسبب هذه المسألة: -

كان الإمام أحمد هو لسان الأمة، الناطق الرسمي لها والممثل للمنهج السلفي الصحيح. وقد تصادم مع المعتزلة في قولهم بأن القرآن مخلوق وقد استعانوا على هذه الفرية بظلم الحكام وقتلوا وكان المأمون يرسل إلى العلماء ويدعوهم إلى القول بخلق القرآن، ومن لم يستجب يدعى إلى المناظرة والامتحان؛ ولكن النتيجة كانت معروفة مسبقا والحكم معلوما بين الضرب والحبس والقتل. وتحت التهديدات العنيفة استسلم الكثير إلا أربعة، وهؤلاء قد ربط الله على قلوبهم واطمأنوا إلى حكم الله، وآثروا الباقية على الفانية وهم: الإمام ابن حنبل ومحمد بن نوح والقواريري وسجادة.

فشدوا في الوثاق وكتبوا في الحديد لملاقاة المأمون فلما كان الغد أجابهم (سجادة) إلى ما طلبوا ففكوا قيوده، وفي اليوم الثاني خارت نفس (القواريري) فأجابهم أيضا فرفعت عنه الأغلال وبقي اثنان ابن حنبل وابن نوح، ولكن ابن نوح استشهد قبل وصوله، ولم يبق إلا الإمام ابن

(١) بيان تلبيس الجهمية (٨١/٢).

حنبل، وبينما هم في الطريق نعي المأمون، ولكنه قبل أن يموت أوصى أخاه المعتصم بالاستمساك بعقيدته في خلق القرآن. فأعيد الإمام ابن حنبل مكبلا في الأغلال ولا زالت التهديدات تترى عليه ولكنه لم يتغير ولم يزد على أن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق لا أزيد، وكلما اشتدوا عليه قال: انتوني بآية من كتاب الله أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ على ما تقولون. وكان القوم يرهبونه مرة ويغرونه أخرى ولكنه لم يستجب لهم، ولما لم تنفع معه التهديدات والإغراءات نفذوا فيه وعيدهم فأخذوا يضربونه بالسياط مرة بعد أخرى، ولم يترك في كل مرة إلا بعد أن يغمى عليه وينخس بالسيف فلا يحس وظل هكذا محبوسا في السجن طوال ثمانية وعشرين شهرا. ولما استياسوا منه أطلقوا سراحه وأعادوه إلى بيته مشنقا بالجراح، ولكنه وإن تأثر جسمه وضعفت عافيته تحت سياط العذاب إلا أن عقيدته ظلت قوية ثابتة مضربا للأمثال.

ولم يكن الأمر لينتهي بمحنة الدين ولكن مثلها محنة الدنيا زاهية مغرية. ولكن الذي قدر على الانتصار في المحنة الأولى كان على غيرها أقدر فرفض الإمام عروض الخلفاء عليه ونأى عن دنياهم وتجافى عن أمواهم وتنزه عن كل مغرياتهم التي حاولوا أن يغروه ويؤثروه بها. وهكذا أعز الله الدين على يديه وأحيا السنة وأمات البدعة وأرسى العقيدة ونصر الله به الدين.

قال ابن المديني^(١): (إن الله أعز هذا الدين برجلين: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة)

قال أبو عبيد بن القاسم^(٢): (إن أبا بكر وجد أعوانا وأنصارا وابن حنبل وقف وحدهن ثم قال: لست أعلم في الإسلام مثله)^(٣).

المبحث الثامن: مسألة حرية الاعتقاد:-

المطلب الأول: موقف الإخوان من حرية الاعتقاد:-

يوجد لدى كثير من الإخوان من حرية الاعتقاد مفاهيم مغلوطة، قال سيد قطب: (كانت رسالة الإسلام ثورة على طاغوت التعصب الديني وذلك منذ إعلان حرية الاعتقاد في صورتها الكبرى في قول الله ﷻ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)^(٤)،

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٦٧/٢).

(٢) السابق .

(٣) أي: من أهل عصره، وإلا فالخيرية في الأمة باقية إلى قيام الساعة.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (١) (٢).

قال حسن البنا: (وليست حركة الإخوان موجهة ضد عقيدة من العقائد، أو دين من الأديان، أو طائفة من الطوائف، ولا يكره الإخوان المسلمون الأجانب النزلاء في البلاد العربية والإسلامية ولا يضمرون لهم سوءاً حتى اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة) (٣).
قال يوسف القرضاوي: (إننا لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة، وإنما من أجل الأرض) (٤).

قال السباعي: (فليس الإسلام ديناً معادياً للنصرانية، بل هو معترف بها مقدس لها والإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي، ولا يعطي للمسلم حقاً في الدولة أكثر من المسيحي، والدستور ينص على مساواة المواطنين جميعاً، في الحقوق والواجبات) (٥).

والناظر في هذه النصوص وغيرها عند الإخوان يجد أنهم يفهمون حرية الاعتقاد بمفاهيم تخصهم ولا ترتبط هذه المفاهيم لا بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية المطهرة فالناظر في القرآن الكريم يجد أن الحرية ليست كما فهمها الإخوان إنما هي مرتبطة بالوحدة الموضوعية للقرآن الكريم ومثال ذلك: قول الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٦)، وقول الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) (٧)، وقول الله U (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٨)، وقول الله U (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٩)، وقول الله U (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ

(١) سورة يونس، الآية (٩٩).

(٢) ينظر: دراسات إسلامية، ص (١٣، ١٤)، وفي ظلال القرآن (٢٩١/١).

(٣) الطريق إلى الجماعة الأم، ص (١٣٢).

(٤) جريدة الراية القطرية، العدد (٤٦٩٦).

(٥) ينظر: الطريق إلى الجماعة الأم، ص (١٣٤).

(٦) سورة المائدة، الآية (٥١).

(٧) سورة الممتحنة، الآية (١٣).

(٨) سورة المجادلة، الآية (٢٢).

(٩) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

بآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ^(١)، وقول الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢)، قال العلامة ابن عثيمين (رحمه الله): (من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتدين بما شاء وأنه حر فيما يتدين به فهو كافر بالله ﷻ لأن الله ﷻ يقول (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(٣))^(٤).

فلا يقبل من أهل الكتاب إلا أحد ثلاث الإسلام، أو القتال، أو الجزية، روى سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: "اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذمكم وذم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله"^(٥).

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من حرية الاعتقاد:-

ويكاد ينعقد إجماع المفسرين على أن قول الله ﷻ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦))^(٦)

(١) سورة آل عمران، الآية (١٩).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥١).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٨٥).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (٩٩/٣) رقم (٤٥٩).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب (الجهاد والسير)، باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته، حديث (٣٢٦١)، وأخرجه الترمذي،

كتاب (الديات)، باب: ما جاء في النهي عن المثلة، حديث (١٣٢٨)، وأخرجه أبو داود، كتاب (الجهاد)، باب: من دعاء

المشركين، حديث (٢٢٤٦)، وأخرجه بن ماجه، كتاب (الجهاد)، باب: وصية الإمام، حديث (٢٨٤٩).

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

قاعدة كبرى من قواعد الإسلام، وركن عظيم من أركان سماحته، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أهله على الخروج منه.

وهذه الحرية إنما تكون للإنسان قبل إسلامه، فله أن يدين بغير الإسلام، ولا يجبر على تغيير ديانته إلى دين الإسلام، أما إذا رضي الإسلام ديناً، فيجب عليه الوفاء والالتزام به.^(١)

قال الإمام بن كثير الدمشقي (رحمه الله): في المراد من قول الله U (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦))^(٢)، (أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في الدين؛ لأن الدين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحداً على الدخول فيه؛ بل إن من هداه الله للإسلام، وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، أما من أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً، والآية حكمها عام)^(٣).

وهذه الحرية - حرية الاعتقاد كما ذكرنا آنفاً - تكون قبل أن يدخل الإنسان في الإسلام، أما بعد أن يعلن إذعانه للدين الحنيف، فليس له أن يرتد قال الله U (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧))^(٤).

ومن المعلوم أن من يتوعده الله بإحباط عمله، ويخبر بأنه من أصحاب النار الخالدين فيها، وأنه يعذبه عذاباً أليماً قد ارتكب فعلاً محرماً في نظر الشريعة؛ بل إن هذا الفعل بالذات يعد من أفحش الكفر وأعظمه حكماً^(٥).

ولا شك أن المرتد محارب لله ورسوله، وإذا كان الأمر كذلك وصاحب ارتداده إثارة للفتنة، ودعوة إلى الإفساد في الأرض بالاعتداء على الدين والإيذاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، بقطع الطريق عليهم وسلب أموالهم، والسعي بالإفساد في الأرض، فإن حكم هؤلاء هو القتل، أو الصلب، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو النفي من الأرض عقوبة لهم، وهذه العقوبات تناسب كل واحدة منها الجريمة التي ارتكبتها هؤلاء، وقيل: (إنه للتخيير، والإمام مخير بين هذه

(١) معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، ص (٣٥)، وحرية فكر أم حرية كفر، ص (٧).

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

(٣) سورة البقرة جزء من الآية (٢٥٦) لابن كثير (٤١٦/١)، ومختصر ابن كثير (٢٣١/١) اختصار محمد الصابوني، دار الصابوني.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٥) ينظر: مغني المحتاج (١٣٣/٤).

العقوبات في كل قاطع طريق^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (والخاربة لله نوعان: محاربة باليد، ومحاربة باللسان؛ والمحاربة باللسان في باب الدين قد تكون أنكى من المحاربة باليد، ولذا كان النبي ﷺ يقتل من يحاربه باللسان، مع استبقائه بعض من حاربه باليد. وكذلك الإفساد قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وما يفسده اللسان من الأديان أضعاف ما تفسده اليد، فثبت أن محاربة الله ورسوله باللسان أشد، والسعي في الأرض بالفساد باللسان أوكد^(٢)).

وإذا كانت هناك بعض الآراء لبعض المفسرين يقررون فيها أن حبوط الأعمال في الدنيا والعذاب الأليم فيها هو قتالهم، وقتلهم إن ظفر بهم، فإنه ليس هناك ما يمنع من المصير إلى ذلك الرأي إذا جاهر هؤلاء بردقهم، ومما يرجح ذلك أننا نجد لهذا الكلام مستندا في تاريخنا الإسلامي حيث أطبق الصحابة في العصر الأول على قتال المرتدين والخارجين عن دين الله، وبذلك قضى على الفتنة العارمة التي كانت تهدف إلى النكول عن الدين، والعودة إلى الجاهلية مرة أخرى. وقد أبانت السنة كيفية التعامل مع المرتدين.

روى عبد الله بن مسعود t أن النبي ﷺ قال " لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والمرتد عن دينه المفارق للجماعة"^(٣)
وعن ابن عباس t أن النبي ﷺ قال: "من بدل دينه فاضربوا عنقه"^(٤).

دل الحديثان على أن الردة من أكبر الكبائر، وأنها سبب لإباحة الدم بالإجماع^(١).
وعن علي بن أبي طالب t أنه قال "يستتاب المرتد ثلاثا"^(٢)، ثم تلا قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي، ص (٤٨).

(٢) ينظر: الصارم السلول على شاتم الرسول، للإمام ابن تيمية ص(٢٧٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١/١٢): كتاب الديات: باب قوله تعالى (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) [المائدة: ٤٥]، حديث (٦٨٧٨)، ومسلم (١٣٠٢/٣): كتاب القسامة: باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦/٢٥)، والترمذي (١٤٠٢)، وأبو داود (٤٣٥٢) والنسائي (٩٢/٧) وابن ماجه (٢٥٣٤)، والدارمي (٢١٨/٢)، والدارقطني (٨٢/٣)، والبيهقي (١٩/٨)، وأحمد (٣٨٢/١)، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٦٥)، عن عبد الله ابن مسعود مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩/٦) كتاب الجهاد: باب لا يعذب بعذاب الله حديث (٣٠١٧)، وأبو داود (٥٢٠/٤) كتاب الحدود: باب الحكم فيمن ارتد حديث (٤٣٥١)، والترمذي (٥٩/٤) كتاب الحدود: باب في المرتد حديث (١٤٥٨)، والنسائي (١٠٤/٧) = كتاب تحريم الدم باب الحكم في المرتد، وابن ماجه (٨٤٨/٢) كتاب الحدود: باب المرتد عن دينه حديث (٢٥٣٥)، وأحمد (٢١٧/١)، ٢٨٢، وعبد الرزاق (١٦٨/١٠) رقم (١٨٧٠٦)، وابن أبي شيبة (١٣٩/١٠) رقم (٩٠٤١) من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) الاستذكار (١٥١/٧)، التمهيد لابن عبد البر (٣٠٤/٥).

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي كتاب السير، باب: المرتد عن الإسلام (٢١٣/٣).

آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا^(١).

وكذلك أجمع الفقهاء الذين يعتد برأيهم على أن عقوبة المرتد هي القتل، ولو أن حكما ما من الأحكام استند إلى الإجماع وحده دون نص من قرآن أو سنة لكان كافيا في شرعية هذا الحكم، وموجبا للعمل به.

وقد روي ذلك عن كثير من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي **Y** قتل المرتد حدا ولم ينكر أحد عليهم فصار ذلك إجماعا، وبه قال ابن عباس ومعاذ **Y**^(٢).

والإسلام حين يقر حرية العقيدة وعدم الإكراه على الإيمان فإنه يفرق بين الحرية والفوضى وهناك عدة ضوابط قد أتى بها الإسلام للترقية بين الحرية والفوضى، ومن تلك الضوابط ما يلي:

١ - أن الإسلام قد أخضع الهوى للإيمان وحكم العقل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (فالإنسان الحر حقا هو الذي يعبد الله وحده، فكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ويذل له)^(٣).

٢ - قد اعتبر الإسلام أن الرجل القوي هو الذي يسيطر على هواه في غضبه، قال **٢**: "ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"^(٤).

٣ - كما أن الإسلام في سبيل صيانتة للحرية قام بتربية النفس تربية ربانية، ومخاطبة الوجدان الإنساني خطابا يستجيش العاطفة، ويوقظ النفس الإنسانية، ويربأ بها عن المهالك والزلات. هكذا يعلمنا رسول الله **٣** حين يقول: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"^(٥).

وبذلك يتجلى توازن النظام الإسلامي في مجال الحرية، فهي حرية تدعو إلى تحرير الإنسان من عبادة الهوى والملذات والشهوات والطاغوت، وتجعله عبدا لله وحده^(١).

(١) سورة النساء، الآية (١٣٧).

(٢) البحر الرائق (١٣٥/٥)، الأم (٣٦٧/٨)، المغني (١٦/٩)، مطالب أولي النهى (٢٧٥/٦).

(٣) ينظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص (٥٦)، مطبعة المدني سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب (الأدب)، باب: الحذر من الغضب، حديث (٥٦٤٩)، وأخرجه مسلم، كتاب (البر والصلة والآداب)، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب، حديث (٤٧٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب (الإيمان)، باب: سؤال جبريل النبي **٣**، حديث (٤٨)، وأخرجه مسلم، كتاب (الإيمان)، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث (١٠).

(١) ينظر: الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي الإسلامي د. عبد الحكيم العيلي، نشر دار الفكر العربي سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص (١٩٥).

المبحث التاسع: مسألة وحدة الوجود:-

المطلب الأول: الإخوان والقول بوحدة الوجود:-

الناظر في كتابات سيد قطب يجد أنه يقول ببدعة وحدة الوجود وبالحلول وذلك صريح في شعره ونثره ولا يحتمل أي تأويل فتأويل الكلام الصريح الواضح عند الأصوليين يسمى تلاعباً وقد أثبتتها عليه جمع من العلماء على رأسهم الشيخ الألباني وابن عثيمين والجامي وربيع المدخلي وغيرهم.

قال سيد قطب: في قصيدته (الشاطي والجھول) والتي منها هذه الأبيات:

إلى الشاطي الجھول والعلم الذي	حننت لمرآه إلى الضفة الأخرى
إلى حيث لا تدري إلى حيث لا ترى	معالم للأزمان والكون تستقرى
إلى حيث لا (حيث) تميز حدوده	إلى حيث تنسى الناس والكون والدهرا
وتشعر أن الكل والجزء واحد	وتمزج في الحس البراهة والفكرا
فليس هنا (أمس) وليس هنا (غدا)	ولا (اليوم) فالأزمان كالحلقة الكبرى
وليس هنا (غير) وليس هنا (أنا)	هنا الوحدة الكبرى التي احتجت سرا ^(١)

ويسهب في الكلام عن وحدة الوجود ويتوسع فيه وينسب هذه العقيدة إلى الصوفية حيث. قال سيد قطب: (ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى وهاموا بها وفيها وسلكوا إليها مسالك شتى بعضهم قال: إنه يرى الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود)^(٢).

وقال في تفسير سورة الإخلاص بعد أن قرر وحدة الوجود ووحدة الفاعلية: (هذه هي مدارج الطريقة التي حاولها المتصوفة فجذبتهم إلى بعد ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها ويزاولون الحياة البشرية والخلافة الأرضية بكل مقوماتها شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلا الله وأن لا وجود إلا وجوده وأن لا فاعلية إلا فاعليته ولا يريد طريقاً غير هذا الطريق)^(٣).

وقد صرح بهذا في شبابه في حدود عام ١٩٣٥م - ١٩٣٧م في ديوانه الشعري وله في

(١) ديوان سيد قطب، ص (١٢٣).

(٢) الظلال (٣٤٧٩/٦، ٣٤٨٠).

(٣) تفسير الظلال (٤٠٣/٦).

وحدة الوجود قصيدة ثالثة سماها (الليلات) ذكرها في شرحه لقصيدة الشاطي الجهل في ديوانه في حدود عام ١٩٤٦م ودافع عن عقيدة (النيرفانا)^(١) ومدحها ومدح أهلها وهي عقيدة تتضمن القول بالحلل ووحدة الوجود، ووحدة الأديان والقول بالتناسخ ومن فقرات دفاعه: (ومهما افترضنا للسندباد من الأعذار في قسوة الأوضاع الاجتماعية والمظاهر البائسة التي شاهدها في الهند، فقد كنا نرجو أن يكون أوسع أفقا وأكثر عطفًا وأعمق اتصالًا بروح الشرق الكامنة وراء هذه المظاهر والأوضاع والروح الصوفية المتسامحة المشرقة بنور الإيمان)^(٢).

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من القول بوحدة الوجود:-

يعتقد علماء أهل السنة والجماعة أن عقيدة وحدة الوجود من العقائد الفاسدة التي شابها عقيدة النصارى وقائلها خارج عن الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (ما تضمنه كتاب (فصوص الحكم) وما شاكله من الكلام: فإنه كفر باطنًا وظاهرًا؛ وباطله أقبح من ظاهره. وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلل وأهل الاتحاد).

إن الرد على مثل هذه العقيدة لا يتطلب جهدًا كبيرًا؛ لأنه يركز على إثبات وجود الخالق U وأنه مبين لخلق، وهذا أمر مركّز في النفوس.

فإثبات وجود خالق مبين للخلق أمر مستقر في النفوس والفطر، ولا أدل على هذا من الدعاء، فإن الناس إذا أرادوا الدعاء توجهوا إلى الله U بقلوبهم وأيديهم إلى السماء، ومن هنا ينبه على أن نفي صفة العلو لله U من أكبر أسباب ظهور عقيدة وحدة الوجود؛ لأن النفوس مفطورة على طلب الله U في العلو، فإذا نفي عنه U صفة العلو، أصبحت النفوس تطلبه في كل مكان، فكان ما كان من وحدة الوجود.

ومن الأدلة الشرعية على بطلان هذا المعتقد الفاسد ما ذكره الله U في كتابه فقال (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣). وقال U (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٤)، وقال U (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ (٥).

(١) كتب وشخصيات، سيد قطب، ص (٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) البيان عن حال كبار وزعماء الإخوان، لابن مشرف، ص (٤٤، ٤٥).

(٣) سورة الطور، الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ٩١.

(٥) سورة الأنبياء الآيتان ٢١، ٢٢.